الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
inistry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
Echahid Cheikh Larbi Tebessi University- Tebessa
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم التعليم الأساسي علوم اجتماعية
Department of Basic Education Social Sciences

منهجية البحث العلمي

كتاب بيداغوجي

موجه لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

إعداد الأستاذ:

د/ بوزيان خيرالدين

أستاذ محاضر - أ-

السنة الجامعية 2026/2025

السداسي	الثاني
طبيعة المادة	منهجية
عنوان المادة	منهجية البحث العلمي Méthodologie de la recherche scientifique
الرصيد	03
المعامل	02
أهداف التعليم	الاطلاع على منهجية البحث العلمي و خطواتها
المعارف المسبقة	معارف في الابستيمولوجيا
القدرات المكتسبة	1) دارسة المنهجية تساعد الطالب في إعداد البحوث العلمية 2) طرح إشكالية البحث وبناء موضوع 3) القدرة على دخول الميدان التجريبي وتطبيق تقنيات البحث
مفردات المادة (يجب أن يتضمن السداسي 15مفردة تعليمية/درسا).	1) مراحل تطور البحث العلمي 2) مفهوم العلم والبحث العلمي 3) أهداف البحث العلمي 4) خصائص البحث العلمي 5) مشكلات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية 6) أنواع البحوث العلمية 7) خطوات البحث العلمي 8) مفهوم المنهج العلمي 9) المنهج التاريخي 10) منهج دراسة الحالة 11) منهج تحليل المحتوى 12) المنهج الوصفي 13) المنهج التجريبي 14) المنهج الكمي في العلوم الاجتماعية 15) المنهج الكيفي في العلوم الاجتماعية
طريقة التقييم	تقييم مستمر في الاعمال الموجهة/ امتحان كتابي في المحاضرة
المراجع:	1) رشوان حسين عبد الحميد، العلم والبحث العلمي، الكتاب الجامعي الحديث الإسكندرية 1992 2) حسان هشام منهجية البحث العلمي 2007 3) موريس أنجرس منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية دار القصبة للنشر الجزائر 2004 4-Grawitz, Madeleine, Méthodes des sciences sociales, éd, paris Dalloz, 2002 5-Loubet Delbaye, jeans louis, Initiation aux méthodes des sciences sociales Paris, Harmattan éditeur 2000 6-Actouf, Omar, Méthodologie des sciences sociales et approche qualitative, Sillery, Presses de l'université du Québec 1987.

فهرس المحتويات .....الصفحة

مقدمة :..... 05

الباب الأول: الأسس المفاهيمية والنظرية للبحث العلمي..... 08

الفصل الأول: مراحل تطور البحث العلمي..... 08

1- بدايات التفكير العلمي في الحضارات القديمة.

2- البحث العلمي في العصور الوسطى وعصر النهضة.

3- الثورة العلمية الحديثة وتبلور المنهج التجريبي.

4- تطور البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

5- الاتجاهات المعاصرة في البحث العلمي.

الفصل الثاني: مفهوم العلم والبحث العلمي..... 15

1- تعريف العلم لغة واصطلاحًا.

2- خصائص العلم وموضوعه ووظيفته.

3- تعريف البحث العلمي ومكوناته الأساسية.

4- الفرق بين المعرفة العلمية والمعرفة العادية.

5- العلاقة بين العلم والبحث العلمي.

الفصل الثالث: أهداف البحث العلمي..... 23

1- الفهم والوصف والتفسير والتنبؤ.

2- تطوير المعرفة النظرية.

3- التطبيق العملي وحل المشكلات.

4- المساهمة في التنمية البشرية والاجتماعية.

الفصل الرابع: خصائص البحث العلمي..... 32

1- الموضوعية والدقة.

2- المنهجية والنظام.

3- التراكمية وقابلية التحقق.

4- الأصالة والجدة.

5- الأخلاق العلمية في البحث.

الفصل الخامس: مشكلات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية..... 40

1- صعوبة إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب.

2- الذاتية وتأثير القيم.

3- مشكلات الصدق والثبات.

4- التداخل بين العوامل الثقافية والنفسية.

5- محدودية النماذج الكمية.

الفصل السادس: أنواع البحوث العلمية..... 48

1- حسب الأهداف (أساسية – تطبيقية).

2- حسب المناهج (تجريبية – وصفية – تاريخية – تحليلية).

3- حسب المقاربة (كمية – كيفية – مختلطة).

4- حسب الزمن (مستعرضة – طولية).

الفصل السابع: خطوات البحث العلمي..... 54

1- اختيار المشكلة وصياغة السؤال البحثي.

2- تحديد الفرضيات والأهداف.

3- مراجعة الدراسات السابقة.

4- تصميم المنهج والأدوات.

5- جمع البيانات وتحليلها.

6- تفسير النتائج وكتابتها.

الفصل الثامن: مفهوم المنهج العلمي..... 64

1- تعريف المنهج لغة واصطلاحًا.

2- المنهج العلمي كطريقة في التفكير.

3- مكونات المنهج العلمي.

4- خصائص المنهج العلمي الجيد.

5- المنهج العلمي بين النظرية والتطبيق.

الباب الثاني : مناهج البحث في العلوم الاجتماعية..... 75

الفصل التاسع: المنهج التاريخي..... 75

1- مفهوم المنهج التاريخي.

2- الأسس العلمية للمنهج التاريخي.

3- خطوات تطبيق المنهج التاريخي.

4- أهمية المنهج التاريخي.

5- اشكالات المنهج التاريخي.
6- المنهج التاريخي والمناهج الأخرى.
الفصل العاشر: منهج دراسة الحالة..... 79
1- مفهوم منهج دراسة الحالة.
2- خصائص منهج دراسة الحالة.
3- خطوات تطبيق منهج دراسة الحالة.
4- أهمية منهج دراسة الحالة.
5- مجالات تطبيق منهج دراسة الحالة.
6- مزايا منهج دراسة الحالة.
7- حدود منهج دراسة الحالة.
الفصل الحادي عشر: منهج تحليل المحتوى..... 83
1- مفهوم منهج تحليل المحتوى.
2- خصائص منهج تحليل المحتوى.
3- أنواع تحليل المحتوى.
4- خطوات تطبيق منهج تحليل المحتوى.
5- أهمية منهج تحليل المحتوى.
6- مزايا منهج تحليل المحتوى.
7- حدود واشكالات منهج تحليل المحتوى.
الفصل الثاني عشر: المنهج الوصفي..... 87
1- مفهوم المنهج الوصفي.
2- خصائص المنهج الوصفي.
3- أنواع المنهج الوصفي.
4- خطوات تطبيق المنهج الوصفي.
5- أهمية المنهج الوصفي.
6- مزايا المنهج الوصفي.
7- حدود واشكالات المنهج الوصفي.
الفصل الثالث عشر: المنهج التجريبي..... 90
1- مفهوم المنهج التجريبي.

2- خصائص المنهج التجريبي.

3- أنواع المنهج التجريبي.

4- خطوات المنهج التجريبي.

5- أهمية المنهج التجريبي.

6- مزايا المنهج التجريبي.

7- حدود واشكالات المنهج التجريبي.

الفصل الرابع عشر: المنهج الكمي في العلوم الاجتماعية..... 94

1- مفهوم المنهج الكمي.

2- خصائص المنهج الكمي

3- خطوات تطبيق المنهج الكمي.

4- أدوات المنهج الكمي.

5- أهمية المنهج الكمي في العلوم الاجتماعية.

6- مزايا المنهج الكمي.

7- حدود واشكالات المنهج الكمي.

الفصل الخامس عشر: المنهج الكيفي في العلوم الاجتماعية..... 98

1- مفهوم المنهج الكيفي.

2- خصائص المنهج الكيفي.

3- أنواع المناهج الكيفية.

4- خطوات تطبيق المنهج الكيفي.

5- أهمية المنهج الكيفي في العلوم الاجتماعية.

6- مزايا المنهج الكيفي.

7- حدود واشكالات المنهج الكيفي.

خاتمة 103

قائمة المصادر والمراجع..... 105

مقدمة

يعد البحث العلمي الركيزة الأساسية في بناء الحضارات وتطور المعرفة الإنسانية، إذ به تنتقل المجتمعات من حالة التأمل والتقليد إلى فضاء الإبداع والاكتشاف، فمنذ أن بدأ الإنسان يتساءل عن أسباب الظواهر الطبيعية والاجتماعية، تشكل لديه وعي معرفي يسعى إلى الفهم والتفسير والتنبؤ، وهو ما أرسى دعائم التفكير العلمي بوصفه أداة للتقدم والنهوض.

لقد أسهم البحث العلمي عبر العصور في تطوير العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، وفتح آفاقا جديدة أمام الإنسان لفهم ذاته ومجتمعه وبيئته، الأمر الذي يجعل منه اليوم ضرورة حضارية ومطلبا استراتيجيا لكل أمة تطمح إلى التنمية المستدامة وبناء المعرفة.

وتعد المنهجية العلمية حجر الأساس في بناء المعرفة داخل ميدان العلوم بصفة عامة ومنها الاجتماعية، إذ تمثل الإطار الذي يوجه الباحث في سعيه نحو فهم الظواهر الاجتماعية وتحليلها بطرق علمية دقيقة، فالعلوم الاجتماعية بما تتناوله من ظواهر إنسانية معقدة ومتغيرة، تحتاج إلى أدوات ومناهج مدروسة تسهم في تحقيق معرفة موضوعية يمكن الوثوق بنتائجها، ومن هنا تأتي أهمية دراسة مادة المنهجية لطلبة السنة الأولى جامعي، باعتبارها المدخل الذي يكسبهم مهارات التفكير العلمي، ويعرفهم بمسار البحث منذ نشأته إلى تطبيقه في الواقع.

انطلاقا من هذه الأهمية، **تبرز إشكالية هذا الكتاب البيداغوجي في السؤال المحوري التالي:**

كيف تطور البحث العلمي عبر التاريخ، وما هي أبرز مناهجه وأساليبه المعتمدة في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية؟

هذه الإشكالية تجمع بين البعد التاريخي التطوري للبحث العلمي وبين البعد المنهجي التطبيقي الذي يوجه عمل الباحث في الميدان، حيث إن فهم تطور البحث العلمي لا ينفصل عن الإلمام بمناهجه ومقاربته للواقع الاجتماعي.

يهدف هذا الكتاب إلى تزويد طلبة العلوم الاجتماعية بإطار معرفي شامل يمكنهم من الإحاطة بالمفاهيم الأساسية للبحث العلمي ومناهجه المتنوعة فهو يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

- توضيح مراحل تطور البحث العلمي ونشأة التفكير المنهجي.
- بيان مفهوم العلم والبحث العلمي وأهدافه وخصائصه.
- التعرف على المشكلات التي تعترض البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تصنيف أنواع البحوث وخطوات إنجازها وفق المعايير الأكاديمية.
- عرض المناهج العلمية المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية، سواء كانت كمية أو كيفية، وصفية أو تجريبية.

أما محتوى الكتاب فقد تم تقسيمه إلى بابين رئيسيين:

الباب الأول: يتناول الأسس المفاهيمية والنظرية للبحث العلمي، من خلال دراسة تطوره التاريخي، ومفاهيمه الأساسية، وأهدافه، وأنواعه، وخطواته، والمشكلات التي تواجهه، وكان ذلك في ثمانية فصول حيث:

مر البحث العلمي عبر التاريخ بعدة مراحل من التطور، انتقل فيها من التأمل الفلسفي إلى التفكير العقلي فالتجريب، ثم إلى البحوث الاجتماعية المعاصرة التي تراعي خصوصية الإنسان والمجتمع وكان هذا موضوع **الفصل الأول**، ويتطلب فهم هذا التطور الوقوف عند مفهوم العلم والبحث العلمي، وما يرتبط به من أهداف يسعى إليها الباحث، كالوصول إلى تفسير الظواهر، والتنبؤ بها، والتحكم فيها من أجل خدمة الإنسان والمجتمع وهو ما تم تناوله في **الفصل الثاني والثالث**، كما أن للبحث العلمي خصائص تميّزه عن غيره من أشكال المعرفة، مثل الموضوعية، والدقة، والمنهجية، والقدرة على التعميم وهذا ما كان موضوع **الفصل الرابع**.

غير أن ممارسة البحث، خاصة في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، لا تخلو من مشكلات وصعوبات تتعلق بطبيعة الظواهر المدروسة، التي تتسم بالتعقيد والتغير المستمر وهو موضوع **الفصل الخامس**، وهذا يفرض على الباحث اختيار نوع البحث وفقا للمنهج المناسب لموضوعه، ومن ثم تتنوع أنواع البحوث العلمية بين النظرية والتطبيقية، والاستطلاعية والوصفية، والكمية والكيفية، بحسب طبيعة المشكلة البحثية والأهداف المنشودة، وكان ذلك موضوع **الفصل السادس**.

ولكي ينجح الباحث في إنجاز عمل علمي متكامل، عليه اتباع خطوات البحث العلمي بدءا من تحديد المشكلة وصياغة الفرضيات، مرورا بجمع البيانات وتحليلها، وصولا إلى استخلاص النتائج، للوصول إلى الحقيقة، وهو موضوع **الفصل السابع والثامن**.

أما الباب الثاني في هذا الكتاب يركز على المناهج البحثية المعتمدة في العلوم الاجتماعية، مثل المنهج التاريخي، ودراسة الحالة، وتحليل المحتوى، والمنهج الوصفي والتجريبي، إضافة إلى المنهجين الكمي والكيفي، وتم ذلك في ستة فصول حيث:

تتعدد المناهج المستخدمة في العلوم الاجتماعية تبعا لموضوع البحث وطبيعته، من أبرزها:

المنهج التاريخي الذي يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الزمني لفهم تطورها، وهذا ما تم التطرق إليه في **الفصل التاسع**.

وكذلك منهج دراسة الحالة الذي يركز على تحليل حالة واحدة أو أكثر بعمق لتعميم نتائجها وهو موضوع **الفصل العاشر**.

ومنهج تحليل المحتوى الذي يستخدم لتحليل المضمون الظاهر أو الباطن للخطابات والوثائق، وهو ما تم تناوله **في الفصل الحادي عشر.**

أما في **الفصل الثاني عشر** تم التطرق إلى المنهج الوصفي الذي يسعى إلى وصف الظواهر كما هي وتحليلها دون تدخل.

وكذلك نجد المنهج التجريبي الذي يعتمد في اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات، وهو موضوع **الفصل الثالث عشر.**

إلى جانب ذلك نجد المنهج الكمي الذي يعتمد على الأرقام والإحصاءات، والمنهج الكيفي الذي يركز على المعاني والدلالات لفهم الظواهر الاجتماعية في سياقها الطبيعي، وهو موضوع **للفصل الرابع والخامس عشر**.

ومن ثم تمّ اعتماد منهجية عرض تجمع بين الطابع النظري والتحليل التطبيقي، بحيث تقدم المفاهيم بتسلسل منطقي متدرج من العام إلى الخاص، مع إيراد أمثلة توضيحية ونماذج بحثية تساعد الطالب على الفهم والمقارنة بين المناهج، كما تم مراعاة توحيد الهيكلة الداخلية في بناء الفصول من حيث التعريف، والأهداف، والخطوات، والمزايا، والحدود، لتسهيل عملية التعلم والمراجعة، **وكان ذلك وفق عرض التكوين الجديد للسنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية المعد من طرف اللجنة البيداغوجية الوطنية لميدان العلوم الانسانية والاجتماعية 2026/2025 بعنوان ليسانس علم الاجتماع العام. وموافقا ومراعيا للمصطلحات الواردة في وحدة "منهجية البحث العلمي" للسداسي الثاني.**

وانطلاقا من هذه المحاور المترابطة، يسعى هذا الكتاب البيداغوجي إلى تقديم رؤية شاملة لمادة المنهجية من خلال دراسة مفاهيمها الأساسية ومناهجها التطبيقية، قصد تمكين الطالب من إدراك أهمية المنهج العلمي في تطوير المعرفة الاجتماعية، وتنمية مهاراته البحثية والفكرية في بداية مساره الجامعي، وكذلك تسعى إلى:

- تخليص الطالب من الذاتية.
- جعل الطالب منهجي في تفكيره.
- توجيه الطالب نحو النقد والتحليل.

إن هذا الكتاب لا يطمح فقط إلى تقديم مادة نظرية للطالب، بل يسعى إلى ترسيخ ثقافة البحث العلمي كمسار للتفكير النقدي والإبداع الأكاديمي، وإلى تعزيز الوعي بأهمية المنهج العلمي في بناء معرفة موضوعية تخدم الإنسان والمجتمع.

في الأخير نتطلع ونأمل أن يحقق هذا الكتاب مراده.

الباب الأول: الفصول النظرية :الأسس المفاهيمية والنظرية للبحث العلمي

تمثل الأسس المفاهيمية والنظرية للبحث العلمي القاعدة التي يقوم عليها كل عمل علمي منظم، إذ لا يمكن لأي باحث أن يشرع في دراسة تطبيقية دون فهم الإطار النظري الذي يوجهها[1]، فهذا الباب يعنى بتوضيح المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث العلمي، من حيث تطوره التاريخي، ومفهومه، وأهدافه، وخصائصه، وأنواعه، وخطواته المنهجية، كما يتناول المشكلات التي تواجه البحث في العلوم الاجتماعية، بوصفها ميدانا تتداخل فيه الذاتية والقيم مع الموضوعية العلمية، ويهدف هذا الجزء من العمل إلى تمكين الطالب أو الباحث من استيعاب البنية النظرية التي تشكل الخلفية الضرورية لكل ممارسة بحثية سليمة، تمهيدا للانتقال إلى دراسة المناهج العلمية في الباب الثاني.

الفصل الأول: مراحل تطور البحث العلمي

يعد البحث العلمي أحد أعظم منجزات العقل الإنساني، فهو الأداة التي مكنت الإنسان من الانتقال من مرحلة التأمل الفلسفي إلى مرحلة الفعل المنهجي القائم على الملاحظة والتجريب والاستنتاج المنطقي. إن تطور البحث العلمي لم يكن حدثا فجائيا، بل ثمرة مسار تاريخي طويل تشكلت فيه مفاهيم العلم، وأعيد تعريف المنهج في كل مرحلة وفق الرؤية الكونية والمعرفية السائدة.

يهدف هذا الفصل إلى تتبع المراحل التاريخية الكبرى لتطور البحث العلمي، وتحليل التحولات الفلسفية والمنهجية التي رافقت كل حقبة من العصور القديمة إلى العصر الرقمي المعاصر.

1- بدايات التفكير العلمي في الحضارات القديمة

يعد التفكير العلمي أحد أقدم أشكال النشاط العقلي الذي رافق الإنسان منذ محاولاته الأولى لفهم العالم المحيط به، وقد نشأ هذا التفكير في رحم الحضارات الشرقية القديمة، حيث اتخذ طابعا عمليا وتجريبيا قبل أن يتبلور في صورة منهجية علمية واضحة، ففي حضارة وادي الرافدين (سومر، بابل، آشور)، برزت بوادر التفكير المنظم في مجالات الحساب والفلك والطب والزراعة، إذ وضع البابليون جداول فلكية دقيقة، ونظموا تقويمات تعتمد على الملاحظة المنتظمة لحركة الأجرام السماوية، مما يشير إلى نزعة عقلانية في تفسير الظواهر الكونية[2].

أما في مصر القديمة فقد تجلى التفكير العلمي في ارتباطه الوثيق بالحياة اليومية والدينية، حيث اعتمد المصريون على الملاحظة والخبرة المتراكمة في تطوير الطب والهندسة وتقنيات التحنيط، ووضعوا

[1] محمد العمري، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، 2018، ص. 25.

[2] ساطع الحصري، تاريخ الفكر الإنساني في الشرق القديم، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص. 47.

نظاما متقدما لقياس الأراضي بعد فيضان النيل، مما يدل على وجود نزعة رياضية وعقلية تنظيمية في تفكيرهم[1].

وفي المقابل نجد أن الحضارة الصينية اتسمت بتكامل الفكر الفلسفي والعلمي، حيث ارتبطت العلوم الطبيعية لديهم بالملاحظة الدقيقة والتجريب العملي، كما في الطب الصيني القديم واستخدام الأعشاب، وفهمهم المبكر للمغناطيس والبارود[2]، وفي الهند القديمة ظهرت تصورات علمية حول الطب (الأيورفيدا) والفلك والرياضيات، من خلال مفاهيم مثل الصفر والنظام العشري، التي شكلت لاحقا أساسا للتطور الرياضي في الحضارة الإسلامية[3].

لقد كانت هذه البدايات نواة للتفكير العلمي المنظم، رغم ما امتزجت به من عناصر أسطورية ودينية، فالعقل الإنساني في تلك المراحل لم يكن قد تميّز تماما بين التفسير العقلي والتفسير الغيبي، إلا أن الملاحظة، والتجربة المتكررة، والسعي للضبط والقياس، كانت كلها مؤشرات على ميل الإنسان نحو المنهج العلمي التجريبي حتى قبل أن يُصاغ نظريًا في الفلسفة اليونانية اللاحقة[4].

وهكذا فإن الحضارات القديمة قدمت الأسس الأولى للفكر العلمي بفضل تفاعل الإنسان مع الطبيعة ومحاولته إيجاد تفسيرات عقلية للظواهر، وهو ما مهّد الطريق أمام تطور العلم لاحقا في الحضارة اليونانية، ثم الإسلامية، وصولا إلى العلم الحديث[5].

2- البحث العلمي في العصور الوسطى وعصر النهضة

شهدت العصور الوسطى تراجعا نسبيا للفكر العلمي في أوروبا بسبب هيمنة الفكر الديني الكنسي الذي قيد حرية البحث والمعرفة، إذ كانت الكنيسة تتحكم في المؤسسات التعليمية وتفسّر الظواهر الطبيعية من منظور لاهوتي قائم على العقيدة لا على التجربة[6]. غير أن هذا الانكماش لم يكن عالميا، فقد ازدهر في المقابل الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية التي قامت بدورٍ محوري في حفظ التراث العلمي القديم وتطويره، فقد جسد العلماء المسلمون، مثل ابن الهيثم والرازي والبيروني وابن سينا روح المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والقياس والتجربة، وهو ما جعل الحضارة الإسلامية تمثل الجسر الذي عبر منه العلم القديم إلى العالم الحديث[7].

---

[1] جمال الدين الشيال، مصر القديمة: حضارة وعلم وفكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص. 113.

[2] Joseph Needham, Science and Civilization in China, Cambridge University Press, 1954, Vol. I, p. 72 .

[3] ديليب ك. تشاكرافارتي، الفكر العلمي في الهند القديمة، ترجمة عبد العزيز عبد الحليم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010، ص. 89.

[4] زكي نجيب محمود، قصة عقل ،دراسة في تطور الفكر الإنساني، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص. 33.

[5] المرجع نفسه، ص. 33.

[6] روجيه جارودي، وعود الإسلام، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الشروق، القاهرة، 1982، ص. 65.

[7] جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص. 41.

ففي مجال الفيزياء والبصريات، وضع ابن الهيثم أسس المنهج التجريبي حين قال: "نبتدئ من المشاهدات ونترقّى إلى المجهولات بالقياس"[1]، وهو مبدأ يعبر عن وعي مبكر بأساسيات المنهج العلمي الحديث، كما أسهم الرازي والزهراوي في تطوير الطب التجريبي، بينما أرسى الخوارزمي أسس الرياضيات التحليلية والحساب الجبري، وهي إنجازات امتدت آثارها إلى أوروبا اللاتينية عبر حركة الترجمة.

ومع انتقال التراث العربي الإسلامي إلى أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، بدأت بوادر النهضة الأوروبية التي أعادت الاعتبار إلى العقل والتجربة، فظهرت الجامعات الأولى (أوكسفورد، بولونيا، باريس)، وبدأ العلماء في مراجعة المفاهيم الأرسطية واللاهوتية القديمة، وقد مثل القرن السادس عشر منعطفا حاسما بفضل ثورات علمية كبرى قادها نيكولاس كوبرنيكوس، وغاليليو غاليلي، وفرانسيس بيكون، الذين وضعوا الأسس الفلسفية والمنهجية للعلم الحديث[2].

فقد دعا بيكون في كتابه الأورغانون الجديد إلى اعتماد المنهج الاستقرائي التجريبي بدل المنهج القياسي الأرسطي، مؤكدا أن المعرفة الحقيقية تنبع من الملاحظة المنظمة للواقع، لا من التأمل النظري المجرد[3]، بينما أثبت غاليليو من خلال تجاربه على الحركة والسقوط أن الطبيعة يمكن فهمها بلغة الرياضيات، فكان أول من دمج بين الملاحظة التجريبية والبرهان الرياضي، فاتحا بذلك الطريق أمام المنهج العلمي الحديث الذي سيتبلور لاحقا مع ديكارت ونيوتن[4].

وعليه فقد شكلت العصور الوسطى وعصر النهضة مرحلتين متكاملتين في مسار تطور البحث العلمي:

الأولى مثلت حفظا ونقلا وإثراء للمعرفة،

والثانية مثلت انطلاقة جديدة نحو استقلال العقل العلمي وإعلاء شأن التجربة، وهو التحول الذي مهد لظهور الثورة العلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر التي أرست أسس العلم الحديث[5].

3- الثورة العلمية الحديثة وتبلور المنهج التجريبي

تمثل الثورة العلمية الحديثة التي بدأت مع مطلع القرن السابع عشر منعطفا جذريا في تاريخ الفكر الإنساني، إذ أسست لمرحلة جديدة من الوعي العلمي القائم على الملاحظة الدقيقة والتجربة

---

[1] ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحليم منتصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ج1، ص. 9.

[2] Philip K. Hitti, History of the Arabs, Macmillan, London, 1970, p. 356

[3] توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2007، ص. 42.

[4] Francis Bacon, Novum Organum, Oxford University Press, 2000, p. 12

[5] عبد الرحمن بدوي، منطق أرسطو والاتجاه التجريبي عند بيكون وغاليليو، دار النهضة، بيروت، 1995، ص. 77.

المنظمة، رافضة كل أشكال التفسير الميتافيزيقي أو التلقيني للطبيعة[1]، فقد تحولت النظرة إلى العالم من كونه نظاما مغلقا تحكمه الغايات الإلهية إلى كونه بنية ميكانيكية تخضع لقوانين رياضية قابلة للفحص والاختبار، وهو ما مهد لتبلور ما يعرف بـ المنهج التجريبي في صورته الحديثة.

كان فرنسيس بيكون (1561–1626) من أوائل المفكرين الذين صاغوا الأسس الفلسفية للمنهج التجريبي في مؤلفه الأورغانون الجديد، حيث دعا إلى استبدال القياس الأرسطي بالاستقراء القائم على جمع الملاحظات الجزئية للوصول إلى القوانين العامة[2]، فالمعرفة في نظر بيكون لا تكتسب عبر الجدل اللفظي أو التأمل الميتافيزيقي، بل عبر التدرج المنهجي من الظواهر إلى المبادئ. وقد لاقت دعوته صدى واسعا في أوروبا، إذ فتحت الطريق أمام جيل من العلماء لتطبيق هذا المنهج عمليا في الفيزياء والكيمياء والفلك[3].

ويعد غاليليو غاليلي (1564–1642) المؤسس الحقيقي للتجريب العلمي بالمعنى الدقيق، إذ جمع بين الملاحظة الحسية والبرهان الرياضي في تفسير الظواهر، فقد أجرى تجارب على سقوط الأجسام وانسيابها على المستويات المائلة، مثبتا أن قوانين الحركة لا تستنتج من التأمل، بل من التجربة المكررة القابلة للتحقق[4]، ومن خلال استخدامه للتلسكوب، أعاد غاليليو صياغة العلاقة بين الإنسان والكون، فأصبح العلم نشاطا إنسانيا يقوم على التحقق لا على التسليم، والاختبار لا الحدس[5].

أما رينيه ديكارت (1596–1650) فقد أسس المنهج العقلي التحليلي، مؤكدا أن الفكر العلمي يجب أن ينطلق من الشك المنهجي للوصول إلى اليقين، معتمدا على البداهة والاستنباط العقلي، غير أن التقاء المنهجين التجريبي والعقلي بلغ ذروته مع إسحاق نيوتن (1643–1727) الذي وحد بين الملاحظة الرياضية والتجريب الفيزيائي في صياغة قوانين الجاذبية والحركة، فكانت أعماله نموذجا لتكامل المنهج العقلي بالتجربة[6].

لقد أنتجت هذه الثورة نمطا جديدا من العقلانية، قوامه الإيمان بإمكانية السيطرة على الطبيعة عبر معرفة قوانينها، وبهذا لم يعد العلم مجرد معرفة تأملية، بل مشروعا إنسانيا لتغيير الواقع وتحسين شروط الوجود البشري[7]. كما أدت الثورة العلمية إلى نشوء المؤسسات البحثية، وتطور

---

[1] عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ج1، ص. 214.

[2] Francis Bacon, Novum Organum, Oxford University Press, 2000, p. 32

[3] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، 1967، ج2، ص. 121.

[4] Alexandre Koyré, Galileo Studies, Routledge, London, 1978, p. 45

[5] ستيفن هوكنغ، تاريخ موجز للزمن، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002، ص. 17.

[6] إسماعيل مظهر، نيوتن والثورة العلمية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ص. 56.

[7] توماس كون، مرجع سابق، ص. 61.

الجامعات وتأسس الأكاديميات العلمية، مما رسّخ البحث العلمي كممارسة مؤسسية قائمة على التعاون والتراكم والتجريب المستمر[1].

ومن ثم، يمكن القول إنّ المنهج التجريبي الحديث لم يكن ثمرة عبقرية فردية بقدر ما كان تحولا إبستمولوجيا شاملا في بنية المعرفة الإنسانية، إذ نقل العلم من مرحلة الوصف إلى مرحلة التفسير والتنبؤ، ومن الفكر التأملي إلى الفعل التجريبي المنظم، وهو التحول الذي سيظل يؤثر في جميع العلوم، وخاصة في العلوم الاجتماعية لاحقا عندما سعت إلى محاكاة دقة العلوم الطبيعية في مناهجها وأدواتها.

4- تطور البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية

شهد العصر الحديث والمعاصر تحول البحث العلمي من نشاط فردي معزول إلى مؤسسة اجتماعية منظمة، تدار وفق مناهج دقيقة وتستند إلى تكنولوجيا متطورة، مما جعله أحد الركائز الأساسية لتقدم الحضارة الإنسانية، فمنذ القرن التاسع عشر بدأت ملامح العلم الحديث تتبلور في شكلها المؤسسي، مع ظهور المختبرات والمجلات العلمية والمراكز البحثية، التي عززت من الطابع الجماعي للمعرفة[2].

لقد كان القرن التاسع عشر قرنا للعلم بامتياز، إذ عرف ظهور تخصصات علمية جديدة مثل الكيمياء الحديثة، والبيولوجيا، والجيولوجيا، والاقتصاد السياسي، وكلها تبنت المنهج التجريبي في دراسة الظواهر[3]. في هذا السياق قام أوغست كونت بتأسيس الفلسفة الوضعية التي دعت إلى إخضاع إخضاع الظواهر الاجتماعية لنفس القوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية، معتبرا أن التقدم العلمي مرهون بقدرة الإنسان على الوصف الدقيق والتنبؤ العلمي[4]، وقد مهد هذا التوجه لظهور ما يعرف لاحقا بالعلوم الاجتماعية الحديثة.

أما القرن العشرون، فقد تميز بثورات علمية وتقنية غير مسبوقة غيرت مفهوم البحث نفسه، حيث أدى اكتشاف النظرية النسبية عند أينشتاين وميكانيكا الكم إلى إعادة تعريف العلاقة بين الملاحظة والتجربة والنظرية، فالعلم لم يعد بحثا عن يقين مطلق، بل عن نماذج تفسيرية متطورة تعكس تطور الأدوات والمناهج[5]، كما ساهمت الحروب العالمية في توجيه البحث العلمي نحو الأهداف

[1] Georges Gusdorf, Les origines des sciences modernes, Payot, Paris, 1960, p. 73

[2] عبد الله عبد الدايم، العلم والمجتمع في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982، ص. 19.

[3] Charles Gillispie, The Edge of Objectivity: An Essay in the History of Scientific Ideas, Princeton University Press, 1960, p. 103

[4] أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص. 47.

[5] ستيفن واينبرغ، تاريخ العلم الحديث، ترجمة أحمد مستجير، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص. 72.

التطبيقية، خاصة في مجالات الطب والطاقة والتسلح، مما جعل الدولة فاعلا رئيسيا في تمويل البحوث[1].

وفي النصف الثاني من القرن العشرين مع الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، أصبح العلم قوة إنتاجية مباشرة، وأضحى التطور الاقتصادي مرهونا بالتقدم العلمي، أين شهدت هذه المرحلة انتقال البحث العلمي إلى مرحلة التخصص الدقيق والتكامل بين العلوم، إذ لم يعد ممكنا دراسة ظاهرة واحدة من زاوية علمية واحدة بل من خلال مقاربة متعددة التخصصات[2].

أما في القرن الحادي والعشرين، دخل البحث العلمي مرحلة جديدة تعرف بـ العصر الرقمي أو ما بعد الصناعي، حيث أصبح الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة والهندسة الوراثية، والعلوم الاجتماعية الرقمية، أدوات رئيسية في تطوير المعرفة الإنسانية. كما برزت اتجاهات حديثة في فلسفة العلم، مثل النزعة الابستيمولوجية النقدية التي تسعى إلى مساءلة أسس المعرفة العلمية نفسها وإعادة التفكير في حدود المنهج التجريبي التقليدي[3].

إن تطور البحث العلمي في العصر الحديث والمعاصر يعكس مسارا تصاعديا من الملاحظة البسيطة إلى النمذجة الرياضية، ومن التجربة المحدودة إلى المحاكاة الرقمية، ومن البحث الفردي إلى العمل الجماعي متعدد التخصصات، وبذلك لم يعد العلم مجرد وسيلة لاكتساب المعرفة، بل أصبح مشروعا حضاريا وإنسانيا شاملا يسهم في صياغة رؤية جديدة للعالم ولعلاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع.

5- الاتجاهات المعاصرة في البحث العلمي

شهد البحث العلمي في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين تحولا نوعيا غير مسبوق بفعل الثورة الرقمية وثورة الذكاء الاصطناعي، حيث أعادت التقنيات الحديثة صياغة مفاهيم المعرفة العلمية وطرائق إنتاجها ونظم تداولها، فقد أصبح العالم يعيش في سياق ما يعرف بـ التحول الرقمي للعلم (Digital Transformation of Science)، الذي يقوم على توظيف الحوسبة الفائقة، وتحليل البيانات الضخمة، والمحاكاة الرقمية، والتعلم الآلي في مختلف مجالات البحث[4].

لقد تجاوز العلم في هذه المرحلة حدود المختبر التقليدي إلى الفضاء الافتراضي الذي تنتج فيه البيانات وتحلل بشكل آلي، مما جعل الباحث المعاصر يتعامل مع كم هائل من المعطيات الرقمية المعقدة.

---

[1] رشدي راشد، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، 1997، ص. 211.

[2] Edgar Morin, Science avec Conscience, Seuil, Paris, 1982, p. 89

[3] Thomas Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, University of Chicago Press, 2012, p. 101

[4] عبد الحليم عويس، العلم في عصر الثورة الرقمية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2020، ص. 33.

ويعد تحليل البيانات الضخمة (Big Data Analytics) أحد أبرز مظاهر هذا التحول، إذ يتيح استنباط أنماط وسلوكيات اجتماعية أو طبيعية لم يكن بالإمكان رصدها بالوسائل التقليدية[1].

كما غيرت تقنيات الذكاء الاصطناعي (AI) بنية البحث العلمي ذاتها، من خلال تطوير خوارزميات قادرة على تحليل المعطيات والتنبؤ بالنتائج[2]، وحتى صياغة الفرضيات العلمية بشكل آلي وهو ما أفضى إلى نشوء ما يعرف بـ "العلم القائم على البيانات" [3] (Data-driven Science) ففي مجالات الطب والفيزياء والعلوم الاجتماعية الرقمية أصبح الذكاء الاصطناعي شريكا معرفيا للباحث لا مجرد أداة تقنية[4].

وفي العلوم الاجتماعية خصوصا، أحدثت الثورة الرقمية تحولا إبستمولوجيا، إذ أفرزت أشكالا جديدة من البحث مثل الإثنوغرافيا الرقمية وتحليل شبكات التواصل الاجتماعي والتنقيب في النصوص الرقمية، مما أتاح للباحثين دراسة السلوك الإنساني في فضاءات رقمية تمثل الواقع الاجتماعي الجديد[5]. وقد أسهم ذلك في بلورة مفهوم العلوم الاجتماعية الحاسوبية (Computational Social Sciences) التي تمزج بين المنهج الكمي والتحليل الخوارزمي، وهو ما يشير إلى تكامل جديد بين المنهجين الكمي والكيفي.

غير أن هذا التحول لم يخل من تحديات معرفية وأخلاقية، إذ يطرح تساؤلات حول مصداقية البيانات، وحدود الموضوعية في ظل تدخل الخوارزميات، فضلا عن قضايا الخصوصية والملكية الفكرية، لذلك يدعو عدد من المفكرين المعاصرين إلى تبني ما يعرف بـ "العقلانية الرقمية النقدية" التي توازن بين الإمكانات التقنية والاعتبارات الإنسانية[6].

إن الثورة الرقمية والذكاء الاصطناعي لا تمثلان مجرد أدوات جديدة للبحث، بل إطارا معرفيا جديدا يغير طريقة تفكير الإنسان في العلم والعالم. فالعلم اليوم لم يعد نشاطا منفصلا عن التكنولوجيا، بل أصبح ظاهرة تكنولوجية معرفية متشابكة مع الاقتصاد والسياسة والثقافة، مما يستدعي إعادة بناء فلسفة البحث العلمي بما يتناسب مع متطلبات العصر الرقمي[7].

---

[1] Viktor Mayer-Schönberger & Kenneth Cukier, Big Data: A Revolution That Will.

[2] محمد عثمان الخشت، نحو تجديد التفكير العلمي في العصر الرقمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2022، ص. 119.

[3] Transform How We Live, Work, and Think, Eamon Dolan/Houghton Mifflin Harcourt, 2013, p. 27

[4] Chris Anderson, "The End of Theory: The Data Deluge Makes the Scientific Method Obsolete," Wired Magazine, Vol. 16, No. 7, 2008.

[5] Fei-Fei Li & John Etchemendy, The AI Index Report 2023, Stanford University, 2023, p. 64

[6] Deborah Lupton, Digital Sociology, Routledge, London, 2015, p. 52

[7] Luciano Floridi, The Logic of Information: A Theory of Philosophy as Conceptual Design, Oxford University Press, 2019, p. 88.

الفصل الثاني: مفهوم العلم والبحث العلمي

يعتبر العلم في جوهره نتاجا للعقل الإنساني في سعيه لفهم الواقع وإخضاعه للفحص المنهجي، فهو ليس مجرد تراكم للمعارف بل عملية مستمرة من النقد والتجريب والتحقق، أما البحث العلمي فهو الأداة التي يمارس بها هذا السعي المنهجي نحو الحقيقة، وهو ما يجعل العلاقة بين العلم والبحث العلمي علاقة عضوية لا تنفصل.

لقد تطور مفهوم العلم عبر العصور من كونه معرفة يقينية إلى كونه نشاطا نقديا مفتوحا قابلا للمراجعة، ومن خلال هذا الفصل سنحاول تحليل مفهومي العلم والبحث العلمي من حيث الدلالة الفلسفية والمنهجية، مع إبراز تطورهما التاريخي ومكانتهما في الفكر المعاصر.

1- تعريف العلم لغة واصطلاحا

يعد العلم من أكثر المفاهيم ثراء وتنوعا في الدلالات اللغوية والفلسفية، إذ تشكل عبر العصور بوصفه مفهوما مركزيا في الفكر الإنساني.

في اللغة: اشتق لفظ العلم من الفعل عَلم، أي أدرك الشيء بحقيقته إدراكا يقينيا، ويقابله الجهل. وقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن العلم هو «نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء بحقيقته»[1]، أي معرفة قائمة على التحقق لا على الظن، ويفهم من هذا المعنى أن العلم يتضمن عنصرين أساسين هما: الإدراك والمعرفة اليقينية.

أما **اصطلاحا**: فقد تعددت تعريفات العلماء والفلاسفة بحسب السياقات المعرفية والحقول التي اشتغلوا ضمنها. فقد عرفه الفارابي بأنه «تصور الشيء على ما هو به»[2]، وهو تعريف يعكس البعد العقلي للعلم بوصفه مطابقة الفكر للواقع. بينما يرى ابن سينا أن العلم «حصول صورة الشيء في العقل»[3]، أي أنه عملية معرفية داخلية ينتقل فيها الموضوع الخارجي إلى الذهن في صورة عقلية.

وفي الفكر الحديث عرف فرنسيس بيكون العلم بأنه «قوة»، أي أنه وسيلة للسيطرة على الطبيعة عبر المعرفة[4]. أما إيمانويل كانط فقد ربط العلم بالمنهج فقال: «إن العلم معرفة منظمة وفق منهج»[5]، أي أن العلم لا يتحقق إلا إذا كانت المعرفة منظمة تخضع لقواعد منهجية دقيقة.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990، مادة «علم».

[2] الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949، ص، 8.

[3] ابن سينا، الشفاء: المنطق، تحقيق إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ج1، ص. 12.

[4] Francis Bacon, Novum Organum, Oxford University Press, 2000, p. 78

[5] إيمانويل كانط، نقد العقل الخالص، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص. 57.

من جهته، يرى كارل بوبر أن العلم هو «نسق من الفرضيات القابلة للاختبار والدحض»[1]، مؤكدا أن السمة الجوهرية للعلم ليست في اليقين بل في قابليته للتكذيب، وهو ما يمثل نقلة إبستمولوجية نحو فهم العلم كعملية دينامية مفتوحة.

وعليه يمكن استخلاص أن مفهوم العلم قد تطور من معرفة يقينية ثابتة إلى نشاط نقدي ومنهجي متجدد. فالعلم اليوم لا يقاس بمدى صواب نتائجه النهائية، بل بقدر ما يعتمد على المنهج المنظم، والملاحظة الدقيقة، والقدرة على التفسير والتنبؤ، ومن هنا يمكن القول إن العلم، لغة واصطلاحا، يجمع بين بعدين متكاملين: بعد معرفي إدراكي "يتعلق بالمعرفة"، وبعد منهجي إجرائي "يتعلق بطريقة الوصول إليها".

2- خصائص العلم وموضوعه ووظيفته

يعد البحث العلمي الأداة الأساسية لتطور المعرفة الإنسانية، إذ يمثل العملية المنهجية التي يسعى من خلالها الإنسان إلى اكتشاف الحقائق وفهم الظواهر وحل المشكلات وفق أسس منطقية وتجريبية.

وقد تعددت تعريفاته بتعدد المقاربات الفلسفية والمنهجية، غير أنها تتقاطع جميعا حول كونه نشاطا منظما يهدف إلى إنتاج معرفة جديدة أو تطوير معرفة سابقة اعتمادا على منهج محدد.

في اللغة، يشتق مصطلح البحث من الفعل بَحَث، أي فتش ونقب، وهو ما يشير إلى عملية استقصاء متعمقة بغرض الوصول إلى نتيجة أو حقيقة[2]، أما اصطلاحا فقد عرفه كاظم المقدادي بأنه "محاولة علمية منظمة تهدف إلى الكشف عن حقائق الأشياء، اعتمادا على منهج علمي دقيق"[3]. بينما يرى محمد المبارك أن البحث العلمي هو "عملية فكرية منظمة ترمي إلى اكتشاف الحقائق الجديدة أو تفسير الظواهر القائمة في ضوء مناهج علمية مضبوطة"[4].

وفي السياق الغربي، قدم كرسويل (Creswell) تعريفا واسعا للبحث العلمي باعتباره: "عملية جمع وتحليل وتفسير البيانات من أجل فهم ظاهرة أو مشكلة معينة، مع إمكانية تطبيق النتائج في الواقع"[5]. أما كيرلنجر (Kerlinger) فيرى أنه "نظام من المفاهيم والإجراءات والقواعد التي تهدف إلى بناء نظرية أو اختبارها بطريقة يمكن التحقق منها"[6].

---

[1] Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery, Routledge, London, 2002, p. 41

[2] ابن منظور، مرجع سابق، ص477.

[3] كاظم المقدادي، مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، دار صفاء، عمّان، 2015، ص. 22.

[4] محمد المبارك، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار الفكر، دمشق، 2006، ص. 18.

[5] John W. Creswell, Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 4..

[6] Fred N. Kerlinger, Foundations of Behavioral Research, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1986, p. 10.

انطلاقا من هذه التعريفات، يمكن القول إن البحث العلمي يقوم على مجموعة من المكونات الأساسية التي تشكل بنيته الجوهرية وهي:

المشكلة أو السؤال البحثي: تمثل نقطة الانطلاق في كل بحث، إذ تحدد الموضوع والإطار الذي يسعى الباحث إلى فهمه أو حله.

الفرضيات أو التساؤلات: وهي إجابات مبدئية أو احتمالات يختبر صدقها من خلال الأدلة.

المنهج: وهو الطريق المنظم الذي يتبع في جمع المعلومات وتحليلها للوصول إلى النتائج.

الأدوات: وتشمل الوسائل التقنية والميدانية والإحصائية التي يعتمدها الباحث في جمع البيانات.

النتائج: وهي ما يُتوصل إليه من معارف أو استنتاجات، تمثل إسهام البحث في تطوير العلم.

التوثيق العلمي: وهو الإطار الأخلاقي والمنهجي الذي يضمن صدق المعلومات ونزاهة الباحث.

ويمتاز البحث العلمي عن غيره من أشكال المعرفة "كالحدس أو الخبرة أو التأمل الفلسفي" بكونه قائما على المنهج التجريبي أو المنطقي المنظم، مما يمنحه طابعا موضوعيا قابلا للتحقق، ولهذا يعد البحث العلمي في جوهره نظاما من التفكير المنهجي الذي يجمع بين الدقة في الملاحظة والصرامة في التحليل والحياد في التفسير[1].

إن فهم مفهوم البحث العلمي ومكوناته لا يقتصر على التعريف النظري فحسب، بل يعد خطوة أولى نحو ممارسة علمية مسؤولة، تسهم في تطوير المعارف وتوجيه السياسات وتحسين حياة الإنسان، وهو ما يجعل البحث العلمي الركيزة الأساسية لبناء الحضارات المعاصرة.

3- تعريف البحث العلمي ومكوناته الأساسية

يعد البحث العلمي من أهم المراحل التي اعتمدها الإنسان في سعيه نحو المعرفة المنظمة، إذ يمثل الوسيلة التي تترجم الفضول الإنساني إلى منهج معرفي منضبط يهدف إلى فهم الظواهر والكشف عن القوانين التي تحكمها، فالإنسان منذ القدم حاول تفسير ما يحيط به، لكن مع تطور الفكر الفلسفي والعلمي أصبحت هذه المحاولات تخضع لقواعد دقيقة تنظم عمليات الملاحظة، الفرض، التجريب، والتحقق[2].

تعريف البحث العلمي

في اللغة: يشتق مصطلح البحث من الفعل بحث، أي فتش وطلب وتقصى، مما يدل على السعي وراء الحقيقة والتحري الدقيق عنها[3].

أما اصطلاحا: فقد تعددت التعريفات باختلاف المقاربات، ومن أبرزها:

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي عند الفلاسفة والعلماء، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص. 65.

[2] المرجع نفسه، ص. 25.

[3] ابن منظور، مرجع سابق، ص477.

يرى محمد المبارك أن البحث العلمي هو "نشاط ذهني منظم يهدف إلى اكتشاف الحقائق، اعتمادا على منهج محدد يضبط خطواته وأدواته"[1].

ويعرفه كاظم المقدادي بأنه "دراسة منهجية منظمة تسعى إلى حل مشكلة أو الإجابة عن سؤال، وفق قواعد علمية دقيقة، للوصول إلى معرفة جديدة أو تطوير معرفة قائمة"[2]

بينما يعرفه كرسويل (Creswell) بأنه "عملية منظمة لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، بغرض فهم ظاهرة أو اختبار فرضية أو بناء نظرية"[3].

أما كيرلنجر (Kerlinger) فيعتبره "نظاما منطقيا يهدف إلى بناء المعرفة من خلال اختبار الفرضيات القابلة للتحقق"[4].

انطلاقا من هذه التعريفات، يمكن القول إن البحث العلمي هو عملية فكرية منهجية تسعى إلى اكتشاف المعرفة اعتمادا على مناهج دقيقة وقابلة للتحقق، فهو يجمع بين النظرية والتطبيق، وبين العقلانية والتجريبية، في سبيل بناء معرفة علمية موثوقة.

المكونات الأساسية للبحث العلمي

يتكوّن أي بحث علمي من مجموعة من العناصر المترابطة التي تضمن انسجامه ومنطقيته، وأهمها:

المشكلة البحثية: وهي جوهر البحث وأساسه، تحدد ما يسعى الباحث إلى تفسيره أو حله.

الفرضيات أو الأسئلة: تمثل استجابات مبدئية أو احتمالات تفسيرية يختبرها الباحث ميدانيا أو نظريا.

المنهج: وهو الطريق المنظم الذي يسلكه الباحث لجمع المعلومات وتحليلها واستنتاج النتائج.

أدوات البحث: مثل الاستبيانات، المقابلات، الملاحظة، أو التحليل الوثائقي وفق طبيعة الدراسة.

النتائج: وهي المخرجات المعرفية التي يتوصل إليها الباحث بعد التحليل، وتشكل الإسهام العلمي للبحث.

التوثيق العلمي: وهو الجانب الأخلاقي والمنهجي الذي يضمن المصداقية والشفافية ويصون الأمانة العلمية[5].

---

[1] محمد المبارك، مرجع سابق، ص. 17.

[2] كاظم المقدادي، مرجع سابق، ص. 30.

[3] John W. Creswell, Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 4

[4] Fred N. Kerlinger, Foundations of Behavioral Research, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1986, p. 10.

[5] أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص. 52.

هذه المكونات تبرز الطابع النسقي والمنهجي للبحث العلمي، الذي يختلف عن التفكير العفوي أو التأمل الفلسفي غير المنظم، إذ لا يمكن اعتبار أي جهد معرفي بحثا علميا ما لم يتضمن مشكلة محددة، ومنهجا واضحا، وأدوات دقيقة، ونتائج قابلة للتحقق.

فالمنهج العلمي بهذا المعنى، ليس مجرد تسلسل خطوات، بل هو روح البحث التي توجه الباحث نحو الدقة والموضوعية، وتجعله يميز بين الرأي الشخصي والمعرفة المؤسسة على الدليل والتجربة[1].

4- الفرق بين المعرفة العلمية والمعرفة العادية

يعد التمييز بين المعرفة العلمية والمعرفة العادية (أو العامية) من القضايا المركزية في فلسفة العلم ونظريته، إذ يتيح فهم طبيعة العلم وموقعه داخل البنية المعرفية للإنسان. فبينما تنبع المعرفة العادية من الخبرة اليومية والتجربة المباشرة، تنشأ المعرفة العلمية من منهج منظم قائم على الملاحظة الدقيقة والتحليل والبرهان[2].

طبيعة المعرفة العادية:

المعرفة العادية (أو المعاشية) هي تلك التي يكتسبها الإنسان بشكل تلقائي وغير منظم من خلال تفاعله اليومي مع محيطه الاجتماعي والطبيعي، فهي تقوم على التجربة الحسية المباشرة والعادة والتقليد والموروث الثقافي[3].

ويلاحظ أن هذه المعرفة تتسم بما يلي[4]:

الذاتية: إذ تعتمد على الانطباعات الشخصية أكثر من اعتمادها على الأدلة الموضوعية.

الجزئية: لأنها تتعامل مع الظواهر في حدود التجربة الفردية المحدودة.

الاعتباطية: فهي لا تخضع لمنهج محدد أو خطوات منظمة للوصول إلى النتائج.

الثبات النسبي: إذ تميل إلى مقاومة التغيير بسبب رسوخها في الوجدان الشعبي والعادات.

وبذلك تعد المعرفة العادية مرحلة أولى في تطور الوعي الإنساني، لكنها تفتقر إلى المعايير الصارمة التي تميز المعرفة العلمية، كالتحقق والتجريب والموضوعية.

طبيعة المعرفة العلمية:

أما المعرفة العلمية فهي شكل متطور من أشكال المعرفة، يتميز بكونه نسقيا ومنهجيا، أي أنه يقوم على خطوات محددة تشمل تحديد المشكلة، وصياغة الفرضيات، وجمع البيانات، وتحليلها وفق منهج علمي منضبط[1].

---

[1] أحمد الطالبي، البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: مقاربة منهجية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2011، ص. 61.

[2] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي عند الفلاسفة والعلماء، مرجع سابق، ص. 42.

[3] أحمد الطالبي، المرجع السابق، ص. 24.

[4] محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص. 55.

تتصف المعرفة العلمية بعدة خصائص رئيسة[2]:

الموضوعية: تقوم على الملاحظة الممنهجة وتجنب التحيز الشخصي.

التحقق: قابلة للفحص من طرف باحثين آخرين بنفس الأدوات والظروف.

القابلية للتعديل: فهي معرفة مفتوحة قابلة للمراجعة والنقد والتطور المستمر.

النسقية: تعتمد على بناء نظري ومنهجي متكامل.

إن المعرفة العلمية لا ترفض المعرفة العادية، بل تتجاوزها بالتنظيم والتبرير المنهجي، حيث تتحول التجربة العادية إلى مادة للبحث والفحص العلمي، ومن هنا يمكن القول إن العلم يعيد تنظيم الخبرة اليومية ويحولها إلى نسق معرفي منظم يسعى إلى تفسير الظواهر لا مجرد ملاحظتها[3].

الفروق الجوهرية بين المعرفة العادية والمعرفة العلمية

نلخصها في الجدول الآتي:

الجانب	المعرفة العادية	المعرفة العلمية
مصدرها	التجربة اليومية والعادة	الملاحظة المنهجية والتجريب
منهجها	عفوي وغير منظم	منظم ودقيق وفق قواعد علمية
طبيعتها	ذاتية وجدانية	موضوعية تحليلية
غايتها	التكيف العملي مع الواقع	الفهم والتفسير والتنبؤ
قابليتها للتحقق	محدودة	عالية وقابلة للتكرار
تطورها	بطيء وتلقائي	سريع ومنهجي

يتضح من هذا الجدول أن الفرق بين المعرفتين ليس في الموضوع فقط، بل في المنهج وطريقة التحقق، فالمعرفة العلمية تبنى على البرهان والتجريب والنقد، في حين تبقى المعرفة العادية محكومة بالعادة والتلقائية، ومع ذلك فإن الأولى لا تنفصل تماما عن الثانية، إذ تشكل المعرفة العادية القاعدة الأولى التي ينطلق منها العلم قبل أن يعيد تنظيمها ضمن نسق عقلاني دقيق[4].

5- العلاقة بين العلم والبحث العلمي

تعد العلاقة بين العلم والبحث العلمي علاقة جوهرية متكاملة، إذ لا يمكن تصور العلم بمعزل عن البحث العلمي، ولا البحث العلمي خارج إطار العلم، فالعلم يمثل النسق المنظم للمعرفة، أما

[1] أحمد بدر، مرجع سابق، ص. 31.

[2] Gaston Bachelard, La Formation de l'esprit scientifique, Vrin, Paris, 1938, p. 12

[3] Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery, Routledge, London, 2002, p. 59

[4] Thomas Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, University of Chicago Press, 2012, p. 45

البحث العلمي فهو الأداة المنهجية التي تنتج وتطور تلك المعرفة، ومن ثم فالعلاقة بينهما ليست علاقة تبعية، بل علاقة تفاعلية وجدلية، قوامها المنهج والتجريب والتجدد المعرفي[1].

العلم ثمرة البحث العلمي: العلم في جوهره هو نتاج عملية بحثية منظمة ومتراكمة تستند إلى الملاحظة الدقيقة والتحليل المنهجي والتجريب المتكرر، فكل قانون أو نظرية علمية هو نتيجة لمجهود بحثي طويل يسعى إلى بناء معرفة مبرهنة قابلة للتحقق.

ويرى جون زيمان (John Ziman) أن "العلم ليس مجموعة من الحقائق الجامدة بل شبكة من العمليات التواصلية التي تنتج معرفة قابلة للفحص والمراجعة"[2].

إذا فالعلم هو النتيجة بينما البحث العلمي هو العملية المنتجة، وكل تطور علمي جديد هو في الأصل ثمرة بحث علمي منضبط ومتجدد.

البحث العلمي تجسيد للعلم في الممارسة

يمثل البحث العلمي الوجه العملي للعلم، فهو التطبيق الفعلي للمفاهيم والنظريات العلمية على أرض الواقع، فالعالم حين يباشر البحث فإنه يمارس العلم في صورته العملية.

ويؤكد توماس كون (Thomas Kuhn) أن «تاريخ العلم هو تاريخ البحوث العادية التي تتطور داخل النماذج الإرشادية (Paradigms)، قبل أن تحدث الثورات العلمية التي تعيد بناء المفاهيم»[3].

بهذا المعنى البحث العلمي ليس مجرد وسيلة لتطبيق المعرفة فقط، بل هو الآلية التي تعيد صياغة العلم ذاته وتفتح أمامه مجالات جديدة للفهم والاكتشاف.

التكامل الجدلي بين العلم والبحث العلمي

العلاقة بين العلم والبحث العلمي علاقة تبادلية بنيوية، فالعلم يمد الباحث بالإطار النظري والمفاهيمي، بينما يمد البحث العلمي العلم بالنتائج الجديدة التي تغني ذلك الإطار.

ويذهب مايكل بولاني (Michael Polanyi) إلى أن "العلم يتقدم بفضل الالتزام الشخصي للباحثين، لكنه لا يترسخ إلا عبر البحث الجماعي المنظم"[4].

وهكذا يتضح أن البحث العلمي هو القوة الحيوية التي تضمن استمرار تطور العلم، بينما يمنح العلم البحث الأسس النظرية التي تحافظ على صرامته واتساقه المنهجي.

---

[1] الزبيدي عبد العزيز، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، 2020، ص. 45

[2] Ziman, John. Real Science: What It Is, and What It Means, Cambridge University Press, 2021, p. 12.

[3] Kuhn, Thomas. The Structure of Scientific Revolutions, 4th Edition, University of Chicago Press, 2012, p. 87.

[4] Polanyi, Michael. Personal Knowledge: Towards a Post-Critical Philosophy, University of Chicago Press, 2015, p. 25.

نحو رؤية تكاملية:

من هذا المنظور يمكن اعتبار العلم وعملياته البحثية وجهين لعملة واحدة، فالعلم هو البناء النظري المنجز[1]. والبحث العلمي هو النشاط الذي يجدد هذا البناء ويعيد صيانته[2].

إن العلم لا ينفصل عن البحث العلمي إلا تمييزا اصطلاحيا، أما في الواقع فهما يمثلان دورة معرفية متكاملة:

العلم يؤسس البحث ← والبحث يُغني العلم ← فينشأ تطور معرفي مستمر.

وبذلك يصبح البحث العلمي ليس مجرد وسيلة للوصول إلى العلم، بل أداة لإعادة إنتاجه باستمرار، بما يضمن ديناميكية المعرفة وتقدمها عبر العصور[3].

[1] محمد بوزيان، فلسفة مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: رؤية نقدية، دار الإعصار العلمي، عمّان، 2019، ص. 74.

[2] Creswell, John W. & Creswell, J. David. Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 6.

[3] الحربي ناصر، مدخل إلى فلسفة العلم ومناهجه، دار وائل للنشر، عمّان، 2018، ص. 102.

الفصل الثالث: أهداف البحث العلمي

يعد البحث العلمي جوهر العملية المعرفية التي يسعى الإنسان من خلالها إلى اكتشاف الحقيقة، وفهم الظواهر وإنتاج المعرفة الجديدة، غير أن البحث لا يمارس في فراغ بل تحكمه أهداف واضحة تتنوع بتنوع مجالاته ومناهجه.

فبينما يرى بعض الفلاسفة أن هدف البحث العلمي هو الوصول إلى الحقيقة، يرى آخرون أنه تحسين نوعية الحياة الإنسانية أو تعميق الفهم النقدي للعالم، ومن هنا تبرز أهمية تحليل أهداف البحث العلمي من منظور فلسفي وتطبيقي معا، لأن تحديد الغاية هو ما يمنح المعرفة معناها واتجاهها.

1- الفهم والوصف والتفسير والتنبؤ

يعد الفهم (Understanding)، والوصف (Description)، والتفسير (Explanation)، والتنبؤ (Prediction) المراحل الأساسية لأهداف البحث العلمي في مختلف التخصصات، إذ تمثل هذه الوظائف الأربع الركائز الجوهرية في بناء المعرفة العلمية، فكل بحث يسعى إلى الانتقال من الملاحظة المجردة للظواهر إلى فهمها وتفسيرها والتنبؤ بمسارها المستقبلي[1].

الفهم — البعد المعنوي للمعرفة العلمية:

يعد الفهم أعلى مراحل الوعي بالظواهر، إذ يتجاوز مجرد ملاحظتها إلى استيعاب معانيها وسياقاتها الداخلية، ويرى ماكس فيبر أن الفهم هو أساس البحث في العلوم الاجتماعية لأنه يسمح بتفسير الأفعال البشرية في ضوء المعاني التي يمنحها الفاعلون لأفعالهم[2].

الفهم بهذا المعنى ليس عملية عقلية فقط، بل هو أيضا تأويل herméneutique للواقع الإنساني، يسعى إلى ربط الظواهر بسياقاتها الثقافية والاجتماعية، ففي العلوم الطبيعية يكون الفهم قائما على القوانين التجريبية، أما في العلوم الاجتماعية فهو يعتمد على التحليل النوعي والتأويلي[3].

الوصف — نقطة الانطلاق نحو التفسير:

الوصف هو المرحلة الأولى في أي بحث علمي، يتم فيها جمع المعطيات والمعلومات الدقيقة حول الظاهرة المدروسة دون إصدار أحكام أو تفسيرات مسبقة.

ويهدف الوصف إلى تحديد خصائص الظاهرة وأنماطها وأبعادها الكمية أو الكيفية، لتوفير قاعدة صلبة لأي تحليل لاحق.

---

[1] الزبيدي عبد العزيز، مرجع سابق، ص. 101.

[2] .Weber, Max. The Methodology of the Social Sciences, Free Press, New York, 2017, p. 88

[3] محمد بوزيان، مرجع سابق، ص. 64.

يؤكد كريسويل (Creswell) أن الوصف العلمي الجيد «يشكل البنية الأساسية لأي تفسير، لأنه يتيح رؤية واقعية للظاهرة كما هي في الواقع لا كما تُفهم نظريا»[1].

إذن فالوصف لا يعد غاية في ذاته بل وسيلة تمهيدية للفهم والتفسير.

التفسير — جوهر العملية العلمية:

التفسير هو قلب البحث العلمي، إذ يمثل محاولة الإجابة عن سؤال: لماذا تحدث الظاهرة؟.

ويعني ذلك الكشف عن العلاقات السببية أو المنطقية بين المتغيرات وفهم القوانين التي تحكم الظواهر.

يرى كارل همبل (Hempel) أن التفسير العلمي "يتمثل في إدراج الظاهرة ضمن قانون عام أو نسق من القوانين"[2]، وهو ما يميز المعرفة العلمية عن الوصف العام (المعرفة العادية).

أما في العلوم الاجتماعية فإن التفسير قد يتخذ طابعا مزدوجا: إما تفسير سببي (على الطريقة الوضعية)أو تفسير تأويلي (على الطريقة الظاهراتية أو الفيبيرية) بهدف إلى فهم المعاني والسياقات التي تفسر السلوك الإنساني[3].

التنبؤ — الغاية المستقبلية للعلم:

التنبؤ هو القدرة على استشراف الظواهر قبل وقوعها استنادا إلى القوانين التي اكتشفت عبر التفسير، فإذا كان العلم يسعى إلى الفهم، فإن غايته الكبرى هي التحكم في الظواهر عبر التنبؤ بها.

يعرف روبرت ميرتون (Merton) التنبؤ العلمي بأنه "عملية استنتاج منظم تستند إلى المعرفة الحالية لتحديد النتائج المستقبلية المحتملة"[4].

لكن التنبؤ لا يعني اليقين المطلق، بل احتمالية مبنية على نماذج علمية، فهو في العلوم الاجتماعية أكثر نسبية بسبب تعقيد العوامل الإنسانية والاجتماعية[5].

الترابط بين الفهم والوصف والتفسير والتنبؤ:

هذه الأهداف ليست منفصلة بل مترابطة في بنية البحث العلمي:

الوصف يقدم المادة الخام ← الفهم يربطها بسياقاتها ← التفسير يكشف عللها ← التنبؤ يستشرف مستقبلها، وبذلك يتحول البحث العلمي من مجرد رصد للواقع إلى أداة عقلانية لفهمه والسيطرة عليه معرفيا.

---

[1] Creswell, John W. & Creswell, J. David. Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 13.

[2]. Hempel, Carl G. Aspects of Scientific Explanation, Free Press, New York, 1965, p. 55

[3] Delanty, Gerard & Strydom, Piet. Philosophy of the Social Sciences: The Classic and Contemporary Readings, Open University Press, 2021, p. 97.

[4] Delanty, Gerard & Strydom, Piet. Philosophy of the Social Sciences: The Classic and Contemporary Readings, Open University Press, 2021, p. 97

[5] Merton, Robert K. Social Theory and Social Structure, Free Press, 2016, p. 41

ويؤكد إدغار موران أن «الوظيفة الحقيقية للعلم ليست في تراكم المعارف، بل في تنظيمها لفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل»[1].

2- تطوير المعرفة النظرية

يعد تطوير المعرفة النظرية أحد الركائز الجوهرية للبحث العلمي، إذ لا يقتصر دور البحث على جمع المعلومات أو حل المشكلات التطبيقية فحسب، بل يمتد إلى بناء نسق معرفي متكامل يفسر الظواهر ويمكن من تعميق الفهم الإنساني للعالم.

فالهدف الأساسي للبحث العلمي في بعده النظري هو إغناء الرصيد المعرفي الإنساني من خلال صياغة المفاهيم، وبناء الفرضيات، وتوليد القوانين أو النماذج التي تشرح الواقع.

المعرفة النظرية كإطار لفهم الواقع:

المعرفة النظرية هي تلك التي تسعى إلى تفسير الظواهر من خلال بناء أنساق فكرية ومفاهيمية، دون أن تكون بالضرورة ذات طابع تطبيقي مباشر[2].

يرى توماس كون (Thomas Kuhn) أن التقدم العلمي لا يتحقق فقط بتراكم المعطيات، بل من خلال التحول في النماذج الفكرية (البارادايمات) التي تعيد تنظيم فهمنا للواقع[3].

إذا فالمعرفة النظرية ليست جامدة بل تتطور مع تطور أدوات الفكر العلمي وتراكم التجارب.

دور البحث العلمي في تطوير النظرية

يسهم البحث العلمي في تطوير المعرفة النظرية عبر ثلاث آليات رئيسية[4].

- توسيع المفاهيم العلمية من خلال إعادة تعريفها أو ربطها بمتغيرات جديدة.

- اختبار الفرضيات التي تنشأ عن النظريات القائمة، مما يؤدي إما إلى تعزيزها أو تعديلها أو تجاوزها.

- بناء نماذج جديدة تفسر الظواهر بطرق أكثر شمولا أو دقة.

وفي هذا السياق يشير كارل بوبر (Popper) إلى أن «تطور المعرفة العلمية يقوم على منطق الدحض (Falsification) لا على منطق التراكم»[5]، أي أن النظرية العلمية تتطور من خلال نقدها ومحاولات تجاوزها.

---

[1] Morin, Edgar. La Méthode: La Nature de la Nature, Seuil, Paris, 2020, p. 25

[2] محمد بوزيان، مرجع سابق، ص. 102.

[3] Kuhn, Thomas S. The Structure of Scientific Revolutions, 4th ed., University of Chicago Press, 2012, p. 67.

[4] الزبيدي عبد العزيز، مرجع سابق، ص. 131.

[5] Popper, Karl. The Logic of Scientific Discovery, Routledge Classics, London, 2005, p. 33

العلاقة بين النظرية والتطبيق

رغم الطابع المجرد للمعرفة النظرية فإنها تمثل القاعدة التي تبنى عليها التطبيقات العملية، فكل تطبيق علمي يفترض وجود نسق نظري يوجهه.

وفي العلوم الاجتماعية على وجه الخصوص يؤدي تطوير المعرفة النظرية إلى فهم أعمق للسلوك الإنساني والمؤسسات الاجتماعية، مما يُسهم في تحسين السياسات العامة والبرامج الاجتماعية[1].

إذا فالعلاقة بين النظرية والتطبيق علاقة تكامل لا انفصال، حيث تغذي التجربة النظرية بالمعطيات الجديدة، وتستمد النظرية من التطبيق مصداقيتها العملية.

المعرفة النظرية في العلوم الاجتماعية

يكتسي تطوير المعرفة النظرية أهمية خاصة في العلوم الاجتماعية، نظرا لتعدد المقاربات والمناهج فيها، فالباحث الاجتماعي يسعى إلى بناء أطر نظرية تمكن من فهم الظواهر المعقدة كالتغير الاجتماعي والتنظيم والقيم والسلطة والتفاعل الرمزي.

تؤكد مارغريت أرشر (Archer) أن "تطور النظرية في العلوم الاجتماعية هو الشرط الأساس لانتقالها من الوصف إلى التفسير"[2]، أي من تسجيل الظواهر إلى فهم بنيتها العميقة.

تطوير النظرية كحافز للتجديد العلمي

إن تطوير المعرفة النظرية يمثل الجانب الإبداعي في العلم، فهو الذي يحدث التحول من المعرفة الموروثة إلى المعرفة المبتكرة، فكل تقدم علمي حقيقي هو في جوهره ثورة نظرية تعيد بناء الفهم السائد للعالم.

ويشير إدغار موران إلى أن "النظرية ليست نهاية العلم بل وسيلته المستمرة في إعادة تنظيم معارفه"[3]، وبذلك يصبح تطوير النظرية عملا مفتوحا دائما يواكب تحولات المجتمع والمعرفة والتكنولوجيا.

إن تطوير المعرفة النظرية هو الوجه العميق للبحث العلمي، لأنه يعكس قدرته على إنتاج المفاهيم والنماذج التي توجه الفهم والتطبيق معا، فدون تجديد النظرية يتحول البحث إلى تكرار ميكانيكي، أما مع تطورها فيغدو العلم قوة معرفية خلاقة تسهم في تطور الفكر الإنساني والمجتمع.

[1] Creswell, John W. Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 45..
[2] Archer, Margaret. The Morphogenetic Approach: Methodology, Ontology, and Structure, Springer, 2020, p. 56.
[3] Morin, Edgar. La Méthode: La Connaissance de la Connaissance, Seuil, Paris, 2019, p. 88.

3- التطبيق العملي وحل المشكلات

يعد التطبيق العملي أحد الأبعاد الجوهرية للبحث العلمي، إذ لا يكتمل الهدف من العلم ما لم تتحول نتائجه إلى حلول واقعية لمشكلات الإنسان والمجتمع، فالبحث العلمي في جوهره ليس مجرد إنتاج للمعرفة، بل هو أيضا أداة لتغيير الواقع وتحسينه[1].

ويعبر هذا الهدف عن الجانب النفعي والإجرائي للعلم، الذي يسعى إلى تحويل المعرفة النظرية إلى ممارسة عملية قابلة للتنفيذ والتقييم.

من النظرية إلى التطبيق

يعتبر التطبيق العملي الامتداد الطبيعي للتفكير العلمي إذ يحول الفرضيات والقوانين إلى أدوات ميدانية لمعالجة القضايا الواقعية، فقد أكد فرانسيس بيكون منذ القرن السابع عشر على أن "العلم لا قيمة له ما لم يكن نافعا في حياة الإنسان"[2]

فالعلم التجريبي كما يرى جون ديوي لا ينفصل عن التجربة العملية، بل يتجلى في "القدرة على التدخل الواعي في الواقع لتعديله وتحسينه"[3].

وهكذا يصبح التطبيق لحظة اختبار حقيقية للنظرية، إذ يظهر مدى فعاليتها وصدقها في مواجهة الواقع، فإذا كانت النظرية تنتج الفهم فإن التطبيق ينتج المنفعة الاجتماعية والعلمية.

البحث العلمي كأداة لحل المشكلات

يعد حل المشكلات (Problem Solving) جوهر البحث العلمي التطبيقي. فكل بحث يبدأ بسؤال أو مشكلة واقعية يسعى الباحث إلى تحليلها وتفسيرها للوصول إلى حلول عملية.

ويعرف كريسويل (Creswell) البحث التطبيقي بأنه "النشاط المنظم الذي يستخدم فيه المنهج العلمي لتقديم حلول واقعية لمشكلات محددة في ميادين العمل والمجتمع"[4].

وفي هذا السياق تعتمد الدراسات التطبيقية على المنهج التجريبي ودراسات الحالة والتحليل الميداني، لأنها تمكن الباحث من الانتقال من الفرض إلى التحقق ومن النظر إلى التغيير الفعلي[5].

مجالات التطبيق العملي للبحث العلمي:

يمتد التطبيق العملي للبحث العلمي إلى مجالات متعددة[6]:

في العلوم الطبيعية: تطوير التكنولوجيا والطب والهندسة والطاقة.

---

[1] الزبيدي عبد العزيز، مرجع سابق، ص. 175.

[2] Bacon, Francis. Novum Organum, Cambridge University Press, 2018, p. 25

[3] Dewey, John. Logic: The Theory of Inquiry, Southern Illinois University Press, 2012, p. 7

[4] Creswell, John W. & Creswell, J. David. Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018, p. 45..

[5] كمال عبد الرحمن. البحث التطبيقي في العلوم الاجتماعية، الأسس والمنهجيات، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2021، ص. 93.

[6] عادل يوسف، البحث العلمي والتنمية في العالم العربي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2022، ص. 61.

في العلوم الاجتماعية: تحسين جودة التعليم وتحليل الظواهر الاجتماعية وتطوير السياسات العامة.

في العلوم الاقتصادية: التنبؤ بالأسواق وترشيد القرارات الاقتصادية.

في علم النفس والتربية: معالجة الاضطرابات السلوكية وتطوير المناهج التعليمية.

وهكذا يتحول البحث العلمي إلى أداة تنمية وتغيير تمكن المجتمعات من مواجهة تحدياتها على أسس علمية موضوعية.

العلاقة بين التطبيق والتنمية المستدامة:

يرتبط التطبيق العملي للبحث العلمي اليوم ارتباطا وثيقا بمفهوم التنمية المستدامة، حيث ينظر إلى البحث العلمي كوسيلة لتحقيق توازن بين التقدم التقني والحفاظ على القيم الإنسانية والبيئية[1].

ويشير تقرير اليونسكو للعلم 2021 إلى أن "البحث العلمي التطبيقي أصبح ركيزة أساسية في بناء اقتصاد المعرفة والمجتمعات المستدامة"[2].

لذلك تتجه الجامعات ومراكز البحث في العالم إلى تعزيز البحوث التطبيقية التي تقدم حلولا عملية لمشكلات مثل الفقر والبطالة والبيئة والهوية الثقافية.

التحديات التي تواجه التطبيق العملي: رغم أهميته يواجه التطبيق العملي عدة تحديات[3]:

ضعف الربط بين الجامعات وقطاعات الإنتاج والمجتمع.

محدودية التمويل الموجه للبحوث التطبيقية.

غياب آليات نقل المعرفة من المختبر إلى الواقع.

هيمنة الطابع النظري في بعض المجالات الاجتماعية.

ويؤكد بيير بورديو أن تجاوز هذه العقبات يتطلب بناء "علاقة تفاعلية بين الحقل الأكاديمي والحقل العملي، بحيث يُصبح الباحث فاعلا في المجتمع لا مجرد مراقب له"[4]، كما يجسد التطبيق العملي وحل المشكلات الوجه العملي للبحث العلمي الذي يحول النظرية إلى أداة فعالة للتنمية والتغيير، فالبحث العلمي لا يكتمل إلا عندما تسهم نتائجه في تحسين حياة الإنسان وفهمه لذاته ومجتمعه.

إن الربط بين النظرية والتطبيق يعد شرطا أساسيا لأي نهضة علمية حقيقية، كما أنه يعزز التكامل بين البحث الأكاديمي والمجتمع في خدمة التقدم الإنساني الشامل.

---

[1] Sachs, Jeffrey D. The Age of Sustainable Development, Columbia University Press, 2015, p. 83

[2] UNESCO. Science Report: The Race Against Time for Smarter Development, Paris, UNESCO Publishing, 2021, p. 14.

[3] ناصر أحمد، واقع وتحديات البحث العلمي في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث، بيروت، 2020، ص. 132.

[4] Bourdieu, Pierre. Science de la Science et Réflexivité, Éditions Raisons d'Agir, Paris, 2021, p. 67

4- المساهمة في التنمية البشرية والاجتماعية

تعد التنمية البشرية والاجتماعية من الغايات السامية للبحث العلمي، إذ لا تنفصل المعرفة العلمية عن خدمة الإنسان والمجتمع. فالعلم لا يقاس فقط بما ينتجه من اكتشافات أو نظريات، بل أيضا بما يحدثه من تحولات في نوعية حياة الأفراد والمجتمعات[1]، ولهذا ينظر إلى البحث العلمي اليوم باعتباره قوة اجتماعية محركة للتنمية والتغيير، تمكن الإنسان من توظيف معارفه في تحقيق التوازن بين التقدم المادي والرقي الإنساني.

مفهوم التنمية البشرية والاجتماعية في سياق البحث العلمي

التنمية البشرية تعني بحسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) "توسيع خيارات الإنسان في مجالات التعليم والصحة والعيش الكريم والمشاركة الاجتماعية"[2].

أما التنمية الاجتماعية فتركز على تحسين نوعية التفاعل الإنساني وبناء مؤسسات أكثر عدلا وتكافؤا وتعزيز قيم المواطنة والتضامن[3].

من هذا المنظور يصبح البحث العلمي أداة مركزية في تحقيق التنمية لأنه يوفر المعرفة اللازمة لتشخيص مشكلات المجتمع واقتراح حلول علمية لها.

دور البحث العلمي في دعم التنمية البشرية:

يسهم البحث العلمي في ترقية القدرات الإنسانية من خلال تطوير التعليم، ونشر الوعي العلمي، وتوسيع مهارات التفكير النقدي والإبداعي.

ويرى أمارتيا سن (Amartya Sen) أن التنمية البشرية الحقيقية لا تقاس بالنمو الاقتصادي، بل بمدى تحرر الإنسان من الجهل والمرض والفقر واللاعدالة[4].

ومن ثم فإن البحث العلمي يعد رافدا أساسيا في بناء رأسمال بشري معرفي قادر على الابتكار والمشاركة في صنع القرار الاجتماعي والاقتصادي[5].

البحث العلمي والتنمية الاجتماعية

في المجال الاجتماعي يلعب البحث العلمي دورا في فهم الظواهر الاجتماعية وتحليل أسباب الاختلالات مثل الفقر والبطالة والعنف والتهميش وعدم المساواة بين الجنسين.

---

[1] الزبيدي عبد العزيز، مرجع سابق، ص. 188.

[2] United Nations Development Programme (UNDP). Human Development Report 2023/2024: Breaking the Gridlock, New York, 2024, p. 12

[3] منصور فاطمة، البحث العلمي والتنمية الاجتماعية في العالم العربي، دار الهدى، الجزائر، 2021، ص. 59.

[4] Sen, Amartya. Development as Freedom, Oxford University Press, 2021, p. 35

[5] يوسف عبد السلام، التنمية البشرية والمعرفة العلمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2022، ص. 47.

من خلال المنهج الكيفي والكمي يتمكن الباحث من صياغة مقترحات عملية لتحسين سياسات الرعاية الاجتماعية والتعليم والصحة والإدارة[1].

يؤكد بيير بورديو أن وظيفة الباحث الاجتماعي هي "كشف البنى الخفية التي تعيد إنتاج اللامساواة"، ومن ثم المساهمة في تحقيق العدالة الاجتماعية عبر المعرفة[2].

البحث العلمي كأداة لصنع السياسات العامة

من أهم أدوار البحث العلمي في التنمية هو إمداد صناع القرار بالمعلومات الدقيقة والتحليلات الموضوعية التي توجه السياسات العامة، حيث تشير اليونسكو إلى أن الدول التي تربط بين البحث العلمي والتخطيط التنموي تحقق مستويات أعلى من الكفاءة والعدالة والاستدامة[3].

ويعد التعاون بين الجامعات ومؤسسات الدولة والمجتمع المدني شرطا أساسيا لتحويل نتائج البحوث إلى برامج وسياسات تنموية قابلة للتطبيق[4].

البحث العلمي والتنمية المستدامة

مع التحديات البيئية والاجتماعية المتسارعة، أصبح البحث العلمي مكونا رئيسيا في أجندة التنمية المستدامة 2030 التي أقرتها الأمم المتحدة.

فالعلم اليوم يسهم في مواجهة الفقر، وتغير المناخ، وأزمات التعليم، والصحة، والهجرة، عبر حلول علمية قائمة على المعرفة المندمجة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية[5].

ومن هنا، فإن المساهمة في التنمية البشرية والاجتماعية تتطلب مقاربة علمية شمولية تجمع بين الفهم النظري والتطبيق العملي، وبين البعد التقني والبعد الإنساني.

التحديات الراهنة في توظيف البحث العلمي لخدمة التنمية

رغم الدور الكبير للبحث العلمي في التنمية، إلا أن هناك عقبات تعيق فاعليته في العالم العربي خصوصا منها[6]:

ضعف تمويل البحوث ذات الطابع الاجتماعي والإنساني.

قلة التنسيق بين مؤسسات البحث وصناع القرار.

محدودية الوعي بأهمية البحث العلمي في التنمية.

غياب استراتيجيات وطنية واضحة للبحث العلمي والتنمية البشرية.

---

[1] Creswell, John W. Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches, 4th ed., SAGE Publications, 2018, p. 71.

[2] Bourdieu, Pierre. Sociologie Générale, Seuil, Paris, 2023, p. 92

[3] UNESCO. Science, Technology and Innovation Report 2021, Paris, UNESCO Publishing, 2021, p. 26.

[4] الحربي ناصر، مرجع سابق، ص. 151.

[5] Sachs, Jeffrey D. The Age of Sustainable Development, Columbia University Press, 2015, p. 102

[6] ناصر أحمد، مرجع سابق، ص. 143.

تجاوز هذه التحديات يتطلب إعادة هيكلة السياسات البحثية نحو مقاربة تقوم على الابتكار، والاندماج المجتمعي، وربط البحث بالاحتياجات الفعلية للمجتمع.

إن المساهمة في التنمية البشرية والاجتماعية تجسد البعد الإنساني للبحث العلمي، الذي يجعل من المعرفة وسيلة للتحرر والتقدم لا مجرد تراكم معلومات.

فالعلم الذي لا يخدم الإنسان يفقد جوهره، والبحث الذي لا يسهم في بناء مجتمع أكثر وعيا وعدلا يظل ناقصا في رسالته.

لذلك فإن توجيه البحث العلمي نحو التنمية البشرية والاجتماعية هو رهان المجتمعات الحديثة في سعيها نحو توازن بين العلم والإنسان وبين التقدم والعدالة.

الفصل الرابع: خصائص البحث العلمي

يعد البحث العلمي الأداة المركزية التي يعبر من خلالها العقل الإنساني عن قدرته على الفهم المنهجي للواقع، فهو ليس مجرد عملية جمع للمعطيات أو تسجيل للملاحظات، بل هو منهج في التفكير يتسم بمجموعة من الخصائص التي تمنحه طابعه العلمي.

ولذلك فإن دراسة خصائص البحث العلمي لا تهدف فقط إلى تحديد شروطه الشكلية، بل إلى فهم طبيعته الفلسفية والوظيفية بوصفه نشاطا معرفيا منظما يسعى إلى بناء الحقيقة وإنتاج المعرفة الموثوقة.

1- الموضوعية والدقة

تعد الموضوعية والدقة من الركائز الأساسية التي تمنح البحث العلمي صفته المتميزة وتكسب نتائجه الموثوقية. فالموضوعية تعني التجرد من الأهواء والانطباعات الشخصية أثناء دراسة الظواهر، بحيث يلتزم الباحث بعرض الحقائق كما هي دون أن يسقط عليها ميوله أو أحكامه المسبقة، إنها السعي نحو الحقيقة كما تفرضها المعطيات لا كما يرغب الباحث أن تكون، فالعلم لا يقوم على الرأي أو المعتقد بل على الملاحظة الممنهجة والبرهان القابل للتحقق[1].

أما الدقة فهي الجانب الإجرائي الذي يترجم الموضوعية إلى ممارسة علمية ملموسة، إذ تتجلى في حسن اختيار المفاهيم والمناهج وضبط أدوات القياس وتحليل النتائج وفق أسس منطقية وإحصائية صحيحة، فكل انحراف أو غموض في المفاهيم أو الإجراءات يضعف من صلاحية النتائج ويجعلها عرضة للشك، ومن هنا جاءت أهمية التحقق المتكرر والتوثيق الدقيق للمصادر والملاحظات، لأن العلم لا يبنى على الحدس بل على التثبت والقياس المنضبط[2].

وفي العلوم الاجتماعية تحديدا تصبح الموضوعية تحديا مضاعفا، لأن الباحث يتعامل مع الإنسان في سياقه الثقافي والقيمي، ما قد يفتح الباب أمام التأثر الذاتي، لذلك دعا عدد من المفكرين مثل "ماكس فيبر" و"ريمون بودون" إلى ما سموه "الحياد القيمي" (Value Neutrality)، أي محاولة الباحث فصل قناعاته الشخصية عن موضوع البحث لضمان أقصى قدر من الموضوعية الممكنة[3].

إن الجمع بين الموضوعية والدقة لا يعني إلغاء البعد الإنساني في البحث بل توجيهه نحو الفهم العميق المنضبط للظواهر، بحيث ينتج العلم معرفة صادقة قابلة للفحص والتطوير، ومن ثم فإنهما

---

[1] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2019. ص177.

[2] Samir Okasha, Philosophy of Science: A Very Short Introduction, Oxford University Press, 2020

[3] Max Weber, The Methodology of the Social Sciences, Free Press, New York, 2017 (Reprint Edition).

يشكلان معا معيار الصدق العلمي الذي يمكن الباحث من أداء وظيفته المعرفية والاجتماعية على نحو فعال[1].

2- المنهجية والنظام

تعد المنهجية والنظام من أبرز الخصائص التي تميز البحث العلمي عن غيره من أشكال التفكير العفوي أو التأمل الفلسفي العام، فالعلم لا يكتفي بالمعرفة بل يسعى إلى تنظيمها في إطار منهجي منسق يخضع لقواعد دقيقة في الملاحظة والتحليل والاستنتاج، والمنهجية هنا تعني اعتماد الباحث على خطوات منظمة ومترابطة تبدأ بتحديد المشكلة وصياغة الفرضيات ثم جمع البيانات وتحليلها وصولا إلى تفسير النتائج وفق منطق علمي متسلسل[2].

أما النظام فهو الوجه البنيوي للمنهجية، إذ يقصد به خضوع جميع مراحل البحث لترتيب منطقي يضمن الترابط بين أجزائه، فكل مرحلة تبنى على ما قبلها وتمهد لما بعدها، بما يجعل البحث وحدة فكرية متكاملة لا تجميعا اعتباطيا للمعلومات، ومن دون هذا النظام يفقد البحث اتساقه الداخلي وتنهار قيمته العلمية[3].

في هذا السياق يشير "توماس كون" في كتابه بنية الثورات العلمية إلى أن المنهج العلمي ليس مجرد إجراءات تقنية، بل هو أيضا نظام من التفكير المنظم الذي يوجه عمل الباحث ضمن "نموذج معرفي" (Paradigm) محدد، يضبط الإشكاليات والمفاهيم والمناهج المقبولة في كل مرحلة من تطور العلم[4]. ويؤكد "كارل بوبر" في المقابل أن المنهجية الحقيقية تكمن في قابلية النظريات للتكذيب (Falsifiability)، أي أن تكون خاضعة لاختبار منظم ودقيق يمكن أن يثبت خطأها أو صوابها[5].

إن الالتزام بالمنهجية والنظام لا يعني الجمود بل الانفتاح المنظم على التجديد العلمي، لأن التقدم في البحث لا يتحقق بالعشوائية بل بالمرونة المنضبطة، ولذلك فإن الباحث في العلوم الاجتماعية مطالب باتباع منهجية واضحة في تصميم بحثه، مع مراعاة خصوصيات الظواهر الإنسانية والاجتماعية التي تقتضي نظاما مرنا قادرا على الموازنة بين الثبات المنهجي والتنوع الميداني[6].

---

[1] ريمون بودون، العقلانية في العلوم الاجتماعية، ترجمة عبد الله العروي، دار الساقي، بيروت، 2018، ص .56

[2] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ومشكلاته، دار النهضة العربية، القاهرة، 2021. ص ،45

[3] محمد شوقي الزين، فلسفة العلم والمنهجية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2020. ص.45.

[4] Thomas S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, 4th ed., University of Chicago Press, 2012.

[5] Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery, Routledge Classics, London, 2019

[6] عبد الله إبراهيم، مناهج البحث في العلوم الإنسانية: إشكالات المفهوم والتطبيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2022. ص85

3- التراكمية وقابلية التحقق

تُمثل التراكمية وقابلية التحقق خاصيتين محوريتين في بناء المعرفة العلمية، فهما الشرطان اللذان يمنحان البحث العلمي استمراريته وتماسكه الداخلي، فالعلم بخلاف أنماط المعرفة الحدسية أو الإيمانية لا يقوم على الانقطاعات المطلقة، بل يتطور ضمن مسار تراكمي يسمح بإعادة النظر في المعارف السابقة من خلال أدوات نقدية وتجريبية متجددة[1].

التراكمية كدينامية معرفية

تشير التراكمية إلى كون المعرفة العلمية عملية تراكم تاريخي تتأسس فيها النظريات الجديدة على ما سبقها سواء بتطويرها أو تجاوزها، فكل اكتشاف علمي لا يلغي ما قبله بالضرورة، بل يعيد تأويله في ضوء معايير أكثر دقة وشمولا، وقد عبر "غاستون باشلار" عن هذه الفكرة بقوله إن تقدم العلم لا يتم بالاستمرار فقط، بل أيضا بـ القطيعة الإبستمولوجية (Rupture épistémologique) التي تسمح بإعادة صياغة المفاهيم القديمة داخل أطر جديدة[2]، أي أن التراكم العلمي ليس مجرد إضافة كمية للمعارف، بل هو عملية تجاوز نوعي تدمج بين النقد والتجديد.

ويرى "توماس كون" أن التراكمية تتم داخل ما يسميه بـ النموذج الإرشادي (Paradigm)، وهو الإطار الفكري الذي يوجه البحث في مرحلة معينة من تاريخ العلم، لكن عند تراكم الأزمات المعرفية يستبدل النموذج بآخر جديد في ما يعرف بـ"الثورة العلمية". وهكذا فإن العلم يتقدم في حركة جدلية تجمع بين التراكم والاستبدال[3].

أما في العلوم الاجتماعية فإن التراكمية تتخذ طابعا أكثر تعقيدا، لأن الظواهر الإنسانية لا تخضع دائمًا لمنطق الثبات والتكرار، ومع ذلك فإن تراكم المعارف النظرية والميدانية يسمح ببلورة رؤى أكثر تركيبا وشمولا للواقع الاجتماعي، كما نجد في تطور مناهج علم الاجتماع من الوضعية الكلاسيكية إلى النقدية ثم البنائية وما بعدها[4].

قابلية التحقق كمعيار للعلمية

أما قابلية التحقق (Verifiability)، فهي المبدأ الذي يجعل المعرفة العلمية قابلة للمراجعة والفحص من قبل الآخرين، إذ لا تعتبر النظرية علمية إلا إذا أمكن اختبارها أو تكذيبها وفق ما وضعه

[1] محمد وقيدي، العلم والوعي العلمي، دار الطليعة، بيروت، 2019، ص .46.
[2] Gaston Bachelard, La formation de l'esprit scientifique, Vrin, Paris, 2017
[3] Thomas S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, 4th ed., University of Chicago Press, 2012.
[4] Anthony Giddens, New Rules of Sociological Method, Polity Press, Cambridge, 2018

"كارل بوبر" من معيار القابلية للتفنيد(Falsifiability)[1]، فالمعرفة التي لا يمكن اختبارها تجريبيا أو منطقيا تبقى خارج المجال العلمي.

وتمثل قابلية التحقق أيضا بعدا أخلاقيا في الممارسة العلمية، لأنها تفترض الشفافية المنهجية وتمكين الباحثين الآخرين من تكرار التجربة للتحقق من النتائج. وقد أشار "روبرت ميرتون" إلى هذا المبدأ ضمن منظومته القيمية للعلم (CUDOS norms)، التي تضم الشك المنهجي والكونية والتشارك المعرفي والموضوعية[2].

وفي ميدان العلوم الاجتماعية تعد قابلية التحقق أكثر تعقيدا نظرا لتعدد المتغيرات الإنسانية والثقافية، لذلك يقترح "يورغن هابرماس" في نظرية الفعل التواصلي معيارا بديلا يتمثل في التحقق التواصلي[3]، أي إمكان مناقشة النتائج والتحقق من صدقها ضمن جماعة علمية نقدية بما يجعل العلمية هنا قائمة على التبرير العقلاني أكثر من التكرار التجريبي.

جدلية التراكم والتحقق في المعرفة العلمية

العلاقة بين التراكمية وقابلية التحقق علاقة جدلية، فدون تحقق علمي دقيق لا يمكن للمعرفة أن تتراكم، ودون تراكم منظم لا يمكن للتحقق أن يفضي إلى تقدم معرفي، فالتراكم يمد العلم بذاكرته التاريخية والتحقق يمنحه صلاحيته المستمرة[4]، ومن هنا فإن أي قطيعة مع مبدأي التراكم والتحقق تؤدي إلى انغلاق العلم وتحوله إلى نسق دوغمائي غير قابل للنقد أو التطور.

إن الوعي الإبستمولوجي المعاصر يسعى إلى ترسيخ التراكم النقدي والتحقق التفاعلي في آن واحد، بحيث تصبح المعرفة العلمية مشروعا جماعيا مفتوحا على المراجعة المستمرة، وهو ما يمنح البحث العلمي في العلوم الاجتماعية خصوصا قدرته على المساهمة في تطوير الوعي الإنساني وإنتاج حلول أكثر فاعلية وواقعية للمشكلات الاجتماعية[5].

4- الأصالة والجدة

تعد الأصالة والجدة من أهم الخصائص التي تمنح البحث العلمي قيمته الحقيقية وتميزه عن مجرّد التكرار أو النقل، فالعلم في جوهره نشاط إبداعي يسعى إلى إنتاج معرفة جديدة تضاف إلى الرصيد الإنساني القائم وتسهم في تطوير الفهم الموضوعي للظواهر، حيث أن الأصالة لا تتحقق إلا

[1] Karl Popper, Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge, Routledge Classics, London, 2020.
[2] Robert K. Merton, The Sociology of Science: Theoretical and Empirical Investigations, University of Chicago Press, 2019.
[3] Jürgen Habermas, The Theory of Communicative Action, Vol. 1, Beacon Press, Boston, 1984
[4] Mario Bunge, Epistemology & Methodology I: Exploring the World, Springer, 2019
[5] عبد الله إبراهيم، مرجع سابق ،ص.74.

عندما يكون الباحث قادرا على تقديم رؤية جديدة لمشكلة قديمة أو صياغة إشكالية غير مسبوقة أو إدخال أدوات منهجية مبدعة في التحليل والتفسير[1].

مفهوم الأصالة العلمية

تدل الأصالة في البحث العلمي على الاستقلال في التفكير والمنهج والقدرة على الابتكار ضمن الأطر المعرفية القائمة، وهي لا تعني الانفصال عن التراث العلمي بل الانخراط النقدي فيه، فكما يؤكد محمد عابد الجابري "إن الأصالة لا تقاس بالقطيعة مع الماضي، بل بقدرة الفكر على توظيفه في بناء معرفة جديدة متجهة نحو المستقبل"[2].

وفي هذا السياق، يرى عبد الرحمن بدوي أن الأصالة تتجلى في ابتكار الباحث طريقته الخاصة في معالجة المشكلة وفي تجاوز النقل الحرفي للآراء والنظريات، لأن "العلم ليس في جمع ما قيل بل في صياغة ما لم يقل بعد"[3].

الجدة كإبداع معرفي

أما الجدة فهي الوجه الديناميكي للأصالة، وتعني الإضافة الجديدة في المعرفة أو المنهج أو النتائج، فقد يكون البحث جديدا من حيث موضوعه أو من حيث الزاوية التي يعالج منها قضية معروفة، ويشير عبد الفتاح تركي إلى أن الجدة تتمثل في "اكتشاف العلاقات الجديدة بين المتغيرات أو إعادة تفسير الظواهر القديمة في ضوء مفاهيم حديثة"[4].

ويضيف عبد الله إبراهيم أن الجدة في العلوم الإنسانية تقاس بمدى قدرة الباحث على "تحريك الأسئلة الراقدة في البنى الفكرية والمجتمعية، واستنطاقها بمفاهيم جديدة تعبر عن تحولات الواقع المعاصر"[5].

الأصالة والجدة في العلوم الاجتماعية

في ميدان العلوم الاجتماعية تبرز الأصالة والجدة من خلال القدرة على تجاوز النماذج الجاهزة والابتعاد عن الإسقاطات الأيديولوجية في تفسير السلوك الإنساني، فالبحث الأصيل هو الذي يقرأ الواقع بلغته الخاصة لا بلغة النماذج المستوردة، وقد بين إبراهيم قشار أن "الاجتهاد المنهجي في العلوم

---

[1] إبراهيم قشّار، قضايا المنهج في العلوم الاجتماعية: قراءة نقدية في الأسس والآفاق، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2020. ص.77.

[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مرجع سابق. ص89.

[3] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ومشكلاته، مرجع سابق، ص.78 .

[4] عبد الفتاح تركي، مدخل إلى فلسفة العلم: المفاهيم والمناهج وتطور الفكر العلمي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2021. ص45

[5] عبد الله إبراهيم، مناهج البحث في العلوم الإنسانية: إشكالات المفهوم والتطبيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2022. ص56

الاجتماعية هو مظهر من مظاهر الأصالة، لأنه يربط النظرية بالواقع المحلي دون إلغاء بعدها الكوني"[1].

إن الجدة في هذا المجال لا تعني القطيعة مع الفكر الغربي أو العربي، بل تعني إعادة بناء المفاهيم والمنهجيات بما يناسب طبيعة الظواهر الاجتماعية في بيئاتها الثقافية، فالمعرفة الأصيلة هي التي تجمع بين الانفتاح النقدي على التجارب العالمية والوعي بالخصوصيات المحلية[2].

العلاقة بين الأصالة والتراكم العلمي: الأصالة لا تتناقض مع التراكم بل تتغذى منه، فكل بحث أصيل يستند إلى ما قبله ليعيد توجيهه نحو آفاق جديدة، إن الجِدة العلمية هي ثمرة استمرارية نقدية، لأن الباحث المبدع لا يبدأ من الصفر بل من تراكم سابق يختبره ويعيد صياغته، فكما يقول محمد وقيدي: "الأصالة في العلم لا تعني القطيعة، وإنما القدرة على بناء الجديد داخل ما هو قائم"[3].

وهكذا، فإن الأصالة والجدة تمثلان معا روح البحث العلمي، إذ تجسدان بعده الإبداعي وقدرته على التجدد الذاتي، فكل بحث بلا جدة هو تكرار، وكل جِدة بلا أصالة فكرية هي ارتجال، والبحث العلمي الحق هو الذي يوازن بينهما لينتج معرفة جديدة متجذرة في الوعي الإنساني والواقع الاجتماعي.

5- الأخلاق العلمية في البحث

تعد الأخلاق العلمية من الركائز الجوهرية التي يقوم عليها البناء المعرفي للبحث العلمي، فالعلم لا يقاس بمدى ما ينتجه من معارف فحسب، بل أيضا بكيفية إنتاجه لتلك المعارف، أي بالمنهجية والسلوك الأخلاقي الذي يتبعه الباحث في سبيل الوصول إلى الحقيقة، فالصدق والأمانة العلمية واحترام الملكية الفكرية والموضوعية هي مبادئ تشكل الإطار القيمي الذي يوجه العمل البحثي في جميع مراحله[4].

مفهوم الأخلاق العلمية

الأخلاق العلمية هي جملة المبادئ والقواعد التي تحكم سلوك الباحث أثناء ممارسة نشاطه العلمي سواء في جمع البيانات أو تحليلها أو نشر نتائجها، ويشير محمد وقيدي إلى أن "الأخلاق في العلم ليست أمورا خارجية عن المعرفة بل هي من صميم بنائها، إذ لا يمكن للعلم أن يزهر في بيئة يغيب عنها الصدق والنزاهة"[5].

فهي تمثل إذا ضمير البحث العلمي الذي يحميه من الانحرافات المعرفية كالتزييف والانتحال والسرقة العلمية، أو تحريف النتائج لخدمة مصالح شخصية أو مؤسساتية.

---

[1] إبراهيم قشّار، مرجع سابق، ص85

[2] عبد العزيز السيد نوار، مناهج البحث في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2021. ص74

[3] محمد وقيدي، مرجع سابق. ص .55 .

[4] عبد العزيز السيد نوار، مناهج البحث في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2021، ص. 45.

[5] محمد وقيدي، المرجع السابق ، ص. 88، 94.

الصدق والأمانة العلمية

تعد الأمانة العلمية من أبرز القيم الأخلاقية في البحث، فهي تفرض على الباحث أن ينسب الأفكار إلى أصحابها وأن يصرح بمصادر معلوماته بوضوح ودقة، وقد شدد عبد الرحمن بدوي على أن "الأمانة في البحث هي أول شرط في تحصيل العلم ومن يخالفها يخل بقدسية المعرفة ذاتها"[1].

كما يشير محمد عابد الجابري إلى أن الصدق في البحث لا يعني الحياد السلبي بل يعني الالتزام بالحقيقة مهما كانت نتائجها، وعدم لي الوقائع لتوافق الأهواء أو التوجهات الفكرية المسبقة[2].

احترام الملكية الفكرية

يعتبر احترام حقوق الآخرين في الفكر والكتابة شرطا أخلاقيا أساسا. فالسرقة العلمية (سواء بالنقل المباشر أو بإخفاء المصدر) تمثل خرقا خطيرا للأخلاق الأكاديمية، وينبه عبد الفتاح تركي إلى أن "الباحث المبدع لا يحتاج إلى سرقة الأفكار، لأنه يعيد صياغتها ويضفي عليها بصمته الخاصة"[3].

ولذلك فإن الالتزام بالتوثيق الدقيق يعد من مظاهر النزاهة التي تحافظ على مصداقية الباحث والمؤسسة العلمية معا.

الموضوعية والحياد

تعد الموضوعية قيمة أخلاقية بقدر ما هي قيمة منهجية، فالباحث الأخلاقي لا يفرض على معطياته نتائج مسبقة، بل يحاول أن ينصت إلى الوقائع كما هو. ويرى إبراهيم قشار أن "الموضوعية هي احترام الواقع كما يقدم نفسه، لا كما نريد أن نراه"[4].

وهنا يقتضي الواجب من الباحث التحرر من التحيزات الشخصية أو الأيديولوجية التي قد تؤثر في صياغة الإشكالية أو تفسير النتائج.

المسؤولية الاجتماعية للباحث

إن الباحث ليس مجرد منتج للمعرفة بل فاعل اجتماعي مسؤول، فنتائج البحث العلمي توجه السياسات والممارسات في المجتمع، ومن ثم يتحمل الباحث مسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع والإنسانية، وكما يقول محمد وقيدي: "على الباحث أن يدرك أن المعرفة سلاح ذو حدين، وأن مسؤوليته الأخلاقية تكمن في توجيهها نحو الخير الإنساني العام"[5].

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ومشكلاته، مرجع سابق، ص. 97.
[2] محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مرجع سابق، ص. 123.
[3] عبد الفتاح تركي، مرجع سابق، ص. 112.
[4] إبراهيم قشّار، مرجع سابق، ص. 77.
[5] محمد وقيدي، مرجع سابق. ص 96 .

فالأخلاق العلمية تتجاوز العلاقة بين الباحث والنص، لتشمل العلاقة بين الباحث والمجتمع في بعدها الإنساني الشامل، كما أنها ليست ترفا معرفيا، بل هي شرط إمكان كل بحث علمي حقيقي. فالعلم بلا أخلاق يتحول إلى سلطة أو أداة للهيمنة، بينما العلم الأخلاقي يظل بحثا عن الحقيقة في خدمة الإنسان، لذلك كان لزاما على كل باحث أن يلتزم بالقيم الأخلاقية التي تؤسس الثقة في المعرفة وتضمن استمرارها.

الفصل الخامس: مشكلات البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

تعد العلوم الإنسانية والاجتماعية من أهم ميادين المعرفة التي تسعى إلى فهم الإنسان والمجتمع في أبعادهما المتعددة، الثقافية والنفسية، الاقتصادية والسياسية... غير أن هذا المجال يواجه جملة من التحديات المنهجية والمعرفية والإبستمولوجية التي تجعل عملية البحث فيه معقدة مقارنة بالعلوم الطبيعية، فبينما تستند الأخيرة إلى التجريب والقياس، تتعامل العلوم الإنسانية والاجتماعية مع ظواهر متغيرة يصعب إخضاعها للضبط الصارم، ومن هنا برزت إشكالية البحث في هذه العلوم باعتبارها معركة دائمة بين الموضوعية الممكنة والذاتية الملازمة للظواهر الإنسانية.

1- صعوبة إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب

تعد صعوبة إخضاع الظواهر الاجتماعية للتجريب من أبرز الإشكاليات المنهجية التي تواجه الباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك لاختلاف طبيعة الظواهر المدروسة عن تلك التي تتناولها العلوم الطبيعية، فبينما يستطيع الفيزيائي أو الكيميائي أن يعيد التجربة في ظروف مضبوطة ومتكررة، يجد عالم الاجتماع أو النفس أو الأنثروبولوجيا نفسه أمام ظواهر إنسانية متغيرة ومعقدة، لا يمكن فصلها عن سياقها الثقافي أو القيمي أو الزمني[1].

فالإنسان ليس مجرد "موضوع" للبحث، بل هو فاعل واع يؤثر ويتأثر بالمواقف الاجتماعية، مما يجعل إعادة إنتاج الظاهرة بنفس الشروط أمرا شبه مستحيل، ويشير محمد الجوهري إلى أن "العالم الاجتماعي لا يستطيع أن يعزل متغيراته كما يفعل عالم الفيزياء، لأن متغيراته بشر يتفاعلون ويتبدلون"[2]،فكل مجتمع يتسم بخصوصية ثقافية وتاريخية تجعل من الصعب تطبيق التجارب العلمية بنفس النمط في بيئات مختلفة.

إضافة إلى ذلك، تواجه التجربة في العلوم الاجتماعية قيودا أخلاقية تمنع الباحث من التلاعب بالظروف الاجتماعية أو النفسية للإنسان كما هو الحال في المختبرات الطبيعية، فالتجريب على الأفراد والجماعات يخضع لاعتبارات إنسانية وحقوقية صارمة، تمنع مثلا إثارة الصدمات أو إحداث الأزمات عمدا من أجل اختبار السلوك[3]، لذلك تميل الأبحاث الاجتماعية إلى استخدام المناهج شبه

[1] عبد العزيز السيد نوار، مرجع سابق، ص. 152.

[2] محمد الجوهري، مناهج البحث الاجتماعي: أسس النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، 2020، ص. 89.

[3] عبد الفتاح تركي، مرجع سابق، ص. 143.

التجريبية أو الملاحظة الميدانية كبدائل تحاول تحقيق أكبر قدر ممكن من الضبط دون الإضرار بالمبحوثين.

كما أن الظواهر الاجتماعية ذات طابع ديناميكي ومتغير باستمرار، فهي تتأثر بالتحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية، لذا فإن نتائج التجارب الاجتماعية غالبا ما تكون نسبية ومحدودة الزمان والمكان، ويؤكد محمد وقيدي أن "القوانين الاجتماعية لا تملك الطابع الحتمي الذي تتميز به القوانين الطبيعية، بل هي احتمالية تعبر عن اتجاهات عامة أكثر مما تعبر عن ثوابت صارمة"[1].

ورغم هذه الصعوبات لا يعني ذلك استحالة التجريب في العلوم الاجتماعية، بل ضرورة تكييف المنهج التجريبي مع طبيعة الظاهرة المدروسة، فالتجريب الاجتماعي يمكن أن يتم من خلال تصميمات ميدانية تراعي الخصوصية الثقافية والاجتماعية، مثل التجارب التربوية أو النفسية أو دراسات الرأي العام، ويشير عبد الباسط متولي إلى أن "الإبداع المنهجي في العلوم الاجتماعية يكمن في ابتكار أشكال تجريبية مرنة تحافظ على الضبط دون التضحية بالإنسانية"[2].

وعليه فإن التحدي الحقيقي أمام الباحث الاجتماعي لا يكمن في غياب التجريب، بل في إيجاد التوازن بين متطلبات المنهج العلمي واحترام الطبيعة الإنسانية للموضوع المدروس، وهذا ما يجعل البحث في العلوم الاجتماعية مجالا خصبا للتجديد المنهجي والنقاش الفلسفي حول مفهوم العلم ذاته.

2- الذاتية وتأثير القيم

تعد الذاتية وتأثير القيم من أبرز القضايا الإبستمولوجية والمنهجية في البحث العلمي، خاصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تتعامل مع الإنسان كفاعل ومفسر للعالم من حوله.

فبينما تسعى العلوم الطبيعية إلى التحرر من الذاتية لتحقيق الموضوعية والدقة، يرى العديد من المفكرين أن العلوم الاجتماعية لا يمكنها تجاوز الذات كليا، لأنها هي وسيط الإدراك والفهم والتأويل[3].

يؤكد بيير بورديو (Bourdieu) في أعماله أن الباحث لا يمكن أن ينفصل تماما عن منظومته الرمزية والثقافية، بل يحمل معه «رأسمالا معرفيا» و«رؤية للعالم» تشكل طريقة طرحه للأسئلة وتفسيره للظواهر[4].

وعليه فإن الذاتية ليست دائما عائقا للبحث، بل يمكن أن تكون أداة للفهم إذا أحسن الباحث إدارتها بوعي نقدي ومنهجي.

---

[1] محمد وقيدي، مرجع سابق، ص. 101.

[2] عبد الباسط متولي، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربة نقدية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2022، ص. 77.

[3] عبد الله عبد الرحيم الخضر، فلسفة العلوم الاجتماعية، من الوضعية إلى ما بعد الحداثة، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2021، ص. 73.

[4] Pierre Bourdieu, Science of Science and Reflexivity, Polity Press, Cambridge, 2019, p. 41

من جهة أخرى يشير محمد شوقي الزين إلى أن القيم - سواء كانت أخلاقية أو ثقافية أو أيديولوجية - تتسلل إلى العملية البحثية في مراحلها كافة، من اختيار الموضوع إلى تأويل النتائج، لأن "العلم الإنساني لا ينتج في فراغ قيمي بل داخل سياق حضاري وثقافي محدد"[1].

وهذا ما يجعل من الضروري أن يتحلى الباحث بقدرة انعكاسية (reflexivity)، أي وعيه الدائم بموقعه ودوافعه ومحدودية نظرته، وهو ما عبر عنه أنطوني غيدنز (Giddens) بقوله: "العلم الاجتماعي الحقيقي يبدأ عندما يعترف الباحث بأنه جزء من العالم الذي يدرسه"[2].

أما من الناحية الأخلاقية فإن القيم تمثل عنصرا موجها لا يمكن الاستغناء عنه، إذ تضمن أن لا يتحول البحث إلى أداة للهيمنة أو التلاعب الاجتماعي، فكما يوضح محمد فالح الصغير "كل بحث يخلو من الحس القيمي يفقد بوصلته الأخلاقية ويصبح علما بلا إنسان"[3].

وهنا يظهر البعد المزدوج للقيم في البحث العلمي، فهي قد تقيّد الموضوعية إذا فرضت أيديولوجيا، لكنها تحمي البعد الإنساني والمعياري للعلم عندما تستثمر نقديا وبمسؤولية معرفية.

ومن الجدير بالذكر أن الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم - خصوصا في ما بعد الوضعية - تجاوزت فكرة "الحياد المطلق" لتقر بأن العلم ممارسة اجتماعية مشبعة بالقيم، كما أشارت هيلين لونغينو (Helen Longino) في تحليلها للعلاقة بين المعرفة والمعايير الاجتماعية[4].

وبذلك لم تعد الذاتية ترى كعائق معرفي، بل كجزء من دينامية إنتاج المعرفة، شرط أن تمارس في إطار من الوعي النقدي والشفافية المنهجية[5].

إجمالا يمكن القول إن الذاتية والقيم في البحث العلمي ليستا نقيضين للعلمية، بل هما شرطان لإنسانية المعرفة، لأن العلم الذي يتجاهل الوعي والقيم يتحول إلى ممارسة تقنية باردة، بينما البحث الذي يدرك حدوده الذاتية يسهم في بناء معرفة أكثر عمقا وإنصافا.

يظهر تحليل العلاقة بين الذاتية والقيم أن الموضوعية في العلوم الاجتماعية نسبية وليست مطلقة، وأن الوعي النقدي بالذات هو ما يجعل الباحث علميا بحق.

---

[1] محمد شوقي الزين، الفكر العلمي في العالم المعاصر: من الموضوعية إلى الانعكاسية، مرجع سابق، 2021، ص. 95.

[2] Anthony Giddens, The Consequences of Modernity, Stanford University Press, 2020, p. 87

[3] محمد فالح الصغير، أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2022، ص. 112.

[4] Helen E. Longino, Studying Human Behavior: How Scientists Investigate Aggression and Sexuality, University of Chicago Press, 2019, p. 23.

[5] فاطمة الزهراء بن ناصر، الذات والموضوع في العلوم الاجتماعية: قراءة إبستمولوجية، دار ابن النديم، الجزائر، 2023، ص. 58.

فالقيم ليست قيودا بل معايير، والذات ليست حاجزا بل مرآة للفهم، وعليه فإن البحث العلمي الحقيقي هو الذي يوازن بين الصرامة المنهجية والوعي الإنساني، فينتج معرفة دقيقة ومسؤولة في آن واحد.

3- مشكلات الصدق والثبات

تعد مشكلة الصدق والثبات من أبرز الإشكالات المنهجية التي تواجه البحث العلمي، ولا سيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظرا للطبيعة المتغيرة والمعقدة للظواهر البشرية فبينما تسعى العلوم الطبيعية إلى نتائج قابلة للقياس والتكرار، تواجه البحوث الاجتماعية صعوبة في تحقيق نفس الدرجة من الدقة والموضوعية بسبب تداخل العوامل النفسية والثقافية والسياقية في تشكيل السلوك الإنساني[1].

يشير مفهوم الصدق (Validity) إلى مدى قياس الأداة البحثية لما وضعت لقياسه فعلا، أي مدى تمثيل النتائج للواقع المدروس، أما الثبات (Reliability) فيعني إمكانية الحصول على النتائج نفسها إذا أعيد تطبيق البحث في ظروف مماثلة[2].

غير أن تحقيق هذين المعيارين في البحث الاجتماعي يواجه تحديات جوهرية، فالمفاهيم الاجتماعية غالبا ما تكون مفتوحة ودلالية وليست كمية خالصة، مما يجعل ضبطها بدقة عملية إشكالية[3].

يذهب نوربرت إلياس (Elias) إلى أن الصدق في العلوم الاجتماعية لا يمكن أن يقاس بالمعايير الوضعية ذاتها التي تستخدم في العلوم الطبيعية، لأن الظواهر الإنسانية ذاتية وتاريخية ومتغيرة، وبالتالي فإن الصدق يجب أن يفهم على أنه صدق تفسيري(contextual validity)، أي مطابقة التفسير للسياق الاجتماعي والثقافي الذي ينتج الظاهرة[4].

كما يؤكد هابرماس (Habermas) أن الصدق في العلوم الاجتماعية يتطلب شرطا إضافيا هو الصدق التواصلي (communicative validity)، أي مدى اتفاق الباحث والمبحوث والمجتمع العلمي على معنى الظاهرة ونتائجها ضمن أفق حواري مفتوح[5].

أما من زاوية الثبات فإن التكرار في العلوم الاجتماعية يظل نسبيا، لأن السلوك الإنساني متغير ومتعدد العوامل، ولهذا يرى عبد السلام حيدر أن معيار الثبات في البحث الاجتماعي يجب ألا يختزل

[1] عبد الكريم غلاب، مدخل إلى مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2020، ص. 102.
[2] محمد فالح الصغير، مرجع سابق، ص. 147.
[3] عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص. 61.
[4] Norbert Elias, The Society of Individuals, Bloomsbury Academic, London, 2020, p. 97
[5] Jürgen Habermas, Knowledge and Human Interests, Polity Press, 2019, p. 132

في التطابق الإحصائي، بل ينظر إليه من منظور الاستقرار المنهجي والشفافية الإجرائية، أي وضوح خطوات البحث بما يسمح بإعادة الفهم لا بالضرورة تكرار النتائج[1].

من هنا برزت اتجاهات حديثة في المنهجية تسعى إلى تحقيق صدق كيفي عبر تقنيات مثل: المقارنة المستمرة (constant comparison)، والتحقق من الصدق الداخلي من خلال العودة إلى المبحوثين (member checking)، والتحقق الثلاثي (triangulation) الذي يجمع بين أكثر من أداة أو مصدر[2].

ويذهب محمد الدريج إلى أن تجاوز أزمة الصدق والثبات لا يكون إلا عبر تكامل المناهج الكمية والكيفية، بحيث يقدم المنهج الكمي أدوات القياس والتحقق الإحصائي، بينما يوفر المنهج الكيفي عمق الفهم والتفسير، مما يحقق توازنا بين الصرامة والمرونة المنهجيتين[3].

وهذا ما تؤكده الدراسات الحديثة في الإبستمولوجيا التطبيقية، التي ترى أن الموثوقية في العلوم الاجتماعية هي وظيفة وعي الباحث بمنهجه وحدود أدواته أكثر من كونها خاصية ثابتة للظاهرة[4].

إن مشكلات الصدق والثبات لا تعد قصورا في البحث الاجتماعي بقدر ما تعبر عن تعقيد الظاهرة الإنسانية وثرائها.

فالصدق لا يتحقق إلا بفهم عميق للسياق، والثبات لا يكون إلا باستقرار المنهج لا بتكرار النتائج، ومن ثم فإن الحل المنهجي المعاصر يتمثل في المقاربة التكاملية التي تمزج بين الكمي والكيفي، وتستبدل المفهوم الضيق للموضوعية بفكرة الموضوعية السياقية، التي تراعي الخصوصيات الاجتماعية والثقافية للظاهرة المدروسة.

4- التداخل بين العوامل الثقافية والنفسية

يعد التداخل بين العوامل الثقافية والنفسية من أبرز مظاهر تعقيد البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ لا يمكن دراسة الإنسان بمعزل عن الإطار الثقافي الذي يعيش فيه، ولا عن بنيته النفسية الداخلية التي تشكل طريقته في الفهم والسلوك.

فكل ظاهرة اجتماعية أو تربوية أو سلوكية هي في الواقع نتاج تفاعل جدلي بين البناء الثقافي الجمعي والعمليات النفسية الفردية[5].

---

[1] عبد السلام حيدر، إشكاليات البحث الاجتماعي بين الصدق والمنهج، دار الحوار، اللاذقية، 2022، ص. 84.

[2] Creswell, John W., Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches, 4th ed., SAGE Publications, 2023, p. 201

[3] محمد الدريج، البحث العلمي بين المناهج الكمية والكيفية: قراءة نقدية، دار عالم الكتب الحديث، عمّان، 2021، ص. 112.

[4] فاطمة الزهراء بن ناصر، الصدق المنهجي في العلوم الاجتماعية: نحو رؤية إبستيمولوجية جديدة، دار ابن النديم، الجزائر، 2024، ص. 54.

[5] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ومشكلاته، مرجع سابق، ص. 87.

من منظور علم الاجتماع الثقافي يرى كليفورد غيرتز (Geertz) أن الثقافة ليست مجرد سياق خارجي للسلوك، بل هي "نظام من الرموز والمعاني" يمنح الأفراد إطارا لتفسير تجاربهم النفسية والعاطفية[1]، فالفعل الإنساني لا يفهم إلا من خلال معانيه الثقافية، أي من خلال "الذوات المتجسدة في سياق ثقافي محدد".

أما من منظور علم النفس الثقافي الحديث كما يوضح جيروم برونر (Bruner)، فإن العمليات النفسية – مثل الإدراك والدافعية والتقييم – تتأثر بالأنماط الثقافية السائدة، بحيث تصبح الثقافة جزءا من الجهاز الإدراكي نفسه لا مجرد مؤثر خارجي عليه[2].

في هذا الإطار تواجه البحوث الاجتماعية تحديا إبستيمولوجيا يتمثل في صعوبة الفصل المنهجي بين البنية الثقافية والنفسية للإنسان، فالسلوك الاجتماعي يحمل دائما بعدا نفسيا داخليا، كما أن البنى النفسية الفردية تتشكل داخل منظومة ثقافية جماعية.

وهذا ما يجعل أدوات البحث التقليدية – التي تفصل بين "الاجتماعي" و"النفسي" – غير كافية لفهم الظواهر في عمقها الإنساني[3].

من هذا المنطلق يدعو عبد الله إبراهيم إلى تبني مقاربة تكاملية (Interdisciplinary Approach) في البحث العلمي تقوم على دمج المعطيات النفسية بالتحليل الثقافي، لأن "العقل الإنساني لا يفكر خارج ثقافته، ولا الثقافة توجد بمعزل عن التجربة النفسية"[4].

وفي الاتجاه نفسه، يؤكد هشام جعيط أن الثقافة ليست معطى خارجيا جامدا، بل هي منظومة رمزية تتغلغل في البنى العميقة للوعي الفردي فتؤثر في الإدراك والانفعال والسلوك الجمعي[5].

أما في البحث الميداني فإن هذا التداخل يظهر في صعوبة تفسير البيانات بمعزل عن السياقات الثقافية، فالتعبيرات اللفظية والانفعالات والمواقف لا تحمل المعنى نفسه في كل الثقافات، مما يجعل التحليل النفسي-الثقافي شرطا أساسيا للصدق التفسيري للبحث.

ولذلك يرى جون كريسول (Creswell) أن المنهج الكيفي هو الأنسب للكشف عن هذه التداخلات، لأنه يسمح بفهم الظواهر من وجهة نظر المشاركين أنفسهم ضمن سياقهم الثقافي والنفسي[6].

---

[1] Clifford Geertz, The Interpretation of Cultures, Basic Books, New York, 2019, p. 14

[2] Jerome Bruner, Acts of Meaning, Harvard University Press, 2020, p. 33

[3] عبد السلام حيدر، مرجع سابق، ص. 66.

[4] عبد الله إبراهيم، مرجع سابق، ص. 91.

[5] هشام جعيط، الهوية والثقافة: دراسات في الوعي الجمعي العربي، دار الطليعة، بيروت، 2021، ص. 48.

[6] John W. Creswell, Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches, 4th ed., SAGE Publications, 2023, p. 179..

كما يضيف أمل الزاوي أنّ تجاهل البعد الثقافي في التحليل النفسي يؤدي إلى نتائج مضللة، لأن "كل استجابة شعورية هي نتاج تجربة ثقافية قبل أن تكون فعلا ذاتيا خالصا"، مما يجعل من الضروري أن يعتمد الباحث في العلوم الاجتماعية على أدوات تفسيرية وتفكيكية تكشف المعاني الثقافية الكامنة في البنى النفسية[1].

وعليه فالتداخل بين العوامل الثقافية والنفسية لا يُعدّ عقبة منهجية فحسب، بل هو ميزة معرفية تفتح المجال أمام فهم أكثر تركيبا وإنسانية للظواهر.

إنه يدعو الباحث إلى تجاوز الفصل الصارم بين الفرد والمجتمع وبين الذات والنسق، نحو رؤية شمولية تدرك الإنسان ككائن رمزي يعيش داخل ثقافة ويعيد إنتاجها عبر تجربته النفسية.

يؤكد التحليل أن البحث في العلوم الاجتماعية لا يمكن أن يكون علميا بحق إلا إذا راعى التفاعل المستمر بين الثقافة والنفس.

فالثقافة تشكل أفق الفهم والنفس تمنح التجربة معناها الذاتي والتكامل بينهما هو السبيل إلى تفسير الظواهر الاجتماعية في عمقها.

لذلك فإن المنهج التكاملي - الذي يجمع بين التحليل الثقافي والنفسي - يمثل اليوم أفقا إبستيمولوجيا جديدا لتجاوز حدود التخصصات الضيقة في دراسة الإنسان.

5- محدودية النماذج الكمية

تعد النماذج الكمية من أكثر الأدوات انتشارا في البحث العلمي الحديث، إذ ترتكز على القياس الإحصائي والمعادلات الرياضية في تفسير الظواهر، غير أن استخدامها في العلوم الإنسانية والاجتماعية يثير نقاشا إبستيمولوجيا عميقا حول مدى قدرتها على تمثيل التعقيد الإنساني والثقافي للواقع الاجتماعي.

فبينما تتيح النماذج الكمية الدقة والموضوعية فإنها تواجه محدودية جوهرية تتعلق بطبيعة الظواهر الإنسانية نفسها، التي لا يمكن اختزالها في أرقام أو معاملات إحصائية فقط[2].

يرى ماكس فيبر (Weber) - في نقده المبكر للنزعة الوضعية - أن القياس الكمي قد يغفل "المعنى الذاتي للفعل الاجتماعي"، لأن الأرقام تظهر الشكل الخارجي للسلوك دون أن تفسر دلالاته[3].

وبهذا المعنى فإن النماذج الكمية تعطي صورة وصفية سطحية للظاهرة لكنها لا تفسر عمقها الرمزي أو السياقي، وهو ما يجعلها غير كافية لفهم الظواهر الاجتماعية التي تتأسس على المعنى والتأويل لا على التكرار الإحصائي فقط[1].

---

[1] أمل الزاوي، الثقافة والبنية النفسية، نحو علم اجتماع نفسي جديد، دار ابن النديم، الجزائر، 2024، ص. 72.

[2] عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ص. 111.

[3] Max Weber, Methodology of Social Sciences, Free Press, New York, 2019, p. 87

في التحليل المعاصر يرى بيير بورديو (Bourdieu) أن الكم لا يمكن أن يكون بديلا عن الفهم النوعي، لأن "البيانات الإحصائية لا تنطق إلا بقدر ما تؤطر نظريا"، أي أن الأرقام لا تمتلك معنى في ذاتها ما لم تقرأ داخل بنية نظرية تفسر العلاقات الاجتماعية التي تنتجها[2].

من جهة أخرى تشير فاطمة الزهراء بن ناصر إلى أن محدودية النماذج الكمية تكمن في "عجزها عن إدراك الديناميات الرمزية والثقافية" التي تتخلل السلوك الإنساني، فهي تلتقط الثابت والقابل للقياس، لكنها تعجز عن تمثيل التحول والتناقض والانفعال والتجربة الذاتية[3].

كما يرى جون كريسول (Creswell) أن الاعتماد المفرط على الإحصاء في العلوم الاجتماعية يؤدي إلى "تشييء الإنسان" (objectification of human reality)، إذ يتم التعامل مع المشاركين كأرقام، لا كذوات فاعلة تحمل معاني وخبرات[4].

وبالتالي فإنّ النماذج الكمية قد تُنتج معرفة دقيقة شكليا لكنها فقيرة دلاليًا، لأنها تُهمل الأبعاد غير القابلة للقياس مثل القيم والمعتقدات والمواقف والتجارب الشعورية.

على الصعيد المنهجي يوضح محمد الدريج أن الإحصاء مفيد في تحديد الاتجاهات العامة، لكنه يصبح مضللا إذا استخدم بمعزل عن التحليل الكيفي المفسر، لأن "الأرقام لا تفسر العلاقات السببية ولا المعاني الاجتماعية بل تكتفي بوصفها"، ولهذا يدعو إلى التكامل بين المناهج الكمية والكيفية في مقاربة الظواهر المعقدة[5].

تظهر الاتجاهات الابستيمولوجية المعاصرة في فلسفة العلوم الاجتماعية - كما يؤكد هابرماس وألكسندر ونت - أن الأزمة ليست في الكم ذاته، بل في النزعة الكمية المفرطة التي اختزلت الإنسان في متغيرات، متناسية أن الواقع الاجتماعي هو بنية رمزية وتفاعلية لا تختزل في أرقام[6].

فكل نموذج كمي يفترض ثباتا في السلوك، بينما الواقع الإنساني متغير ومفتوح على الاحتمال[7].

وبناء على ذلك فإن محدودية النماذج الكمية لا تعني رفضها، بل إعادة توظيفها ضمن رؤية منهجية متكاملة تراعي التعقيد الإنساني وتفسر المعطى الإحصائي في ضوء المعنى الاجتماعي.

فالقوة المعرفية لا تكمن في الأرقام بحد ذاتها، بل في الوعي النقدي الذي يوجه استخدامها.

تكمن محدودية النماذج الكمية في اختزالها للمعقد في البسيط، والإنساني في المجرد، والمعنى في الرقم.

---

[1] محمد شوقي الزين،مرجع سابق، ص. 134.

[2] Pierre Bourdieu, Science of Science and Reflexivity, Polity Press, Cambridge, 2020, p. 62

[3] فاطمة الزهراء بن ناصر، الصدق المنهجي في العلوم الاجتماعية: نحو رؤية إبستمولوجية جديدة، مرجع سابق، ص. 91.

[4] John W. Creswell, Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2023, p. 189.

[5] محمد الدريج، مرجع سابق، ص. 123.

[6] Alexander Wendt, Social Theory of International Politics, Cambridge University Press, 2022, p. 44

[7] Jürgen Habermas, Knowledge and Human Interests, Polity Press, 2019, p. 155

ورغم أهميتها في القياس والتحليل المقارن فإنها تظل جزءا من المنهج لا كله.

فالظواهر الاجتماعية لا تفهم إلا من خلال مقاربة شمولية تمزج بين الدقة الكمية والعمق الكيفي وبين التحليل الإحصائي والتفسير الرمزي.

إن تجاوز هذه المحدودية هو ما يمهد لولادة منهج علمي إنساني يوازن بين القياس والفهم.

الفصل السادس: أنواع البحوث العلمية

يعد البحث العلمي الأداة الأساسية التي بواسطتها تتقدم المعارف الإنسانية وتبنى الحضارات، فهو عملية منهجية منظمة ترمي إلى اكتشاف الحقائق وتفسير الظواهر واقتراح الحلول، غير أن هذا النشاط المعرفي لا يتخذ شكلا واحدا، بل تتنوع البحوث العلمية بحسب أهدافها ومناهجها وحقولها وطرائقها في جمع المعلومات وتحليلها.

إنّ تصنيف أنواع البحوث ليس مجرد تصنيف أكاديمي، بل هو مدخل لفهم طبيعة النشاط العلمي ذاته وكيفية توجهه نحو خدمة المجتمع والمعرفة معا.

1- حسب الأهداف (أساسية – تطبيقية)

يصنف البحث العلمي من حيث أهدافه إلى بحوث أساسية وأخرى تطبيقية، ويعد هذا التقسيم من أكثر التصنيفات شيوعا في منهجية البحث، فالتمييز بين هذين النمطين يعكس طبيعة الغاية التي يسعى إليها الباحث، وما إذا كان هدفه تطوير المعرفة النظرية أم حل المشكلات العملية في الواقع الاجتماعي أو الإنساني.

البحث الأساسي (Fundamental Research)

يهدف البحث الأساسي إلى توسيع حدود المعرفة دون النظر المباشر إلى التطبيقات العملية، فهو يسعى إلى تفسير الظواهر وبناء النظريات واكتشاف القوانين العامة التي تحكم سلوك الإنسان والمجتمع، وغالبا ما ينجز في الجامعات ومراكز البحث العلمي التي تعنى بالتنظير والتجريد، وتكمن أهميته في كونه القاعدة المعرفية التي تبنى عليها البحوث التطبيقية، إذ لا يمكن تطوير الحلول العملية دون فهم نظري عميق للأسس والمبادئ التي تحكم الظواهر قيد الدراسة[1].

البحث التطبيقي (Applied Research)

أما البحث التطبيقي فيسعى إلى استخدام نتائج البحوث الأساسية في معالجة مشكلات واقعية، اجتماعية كانت أو تربوية أو اقتصادية، إنه بحث موجه نحو المنفعة العملية، ويستخدم عادة

[1] عبد العزيز السرطاوي، مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، دار الثقافة، عمّان، 2020، ص. 75.

لتصميم السياسات أو تطوير البرامج أو تحسين الممارسات الميدانية، وغالبا ما تنفذه المؤسسات الحكومية أو المراكز المهنية التي تبحث عن حلول آنية وقابلة للتطبيق[1].

ويلاحظ أن العلاقة بين البحوث الأساسية والتطبيقية تكاملية وليست تنافسية، فكل منهما يثري الآخر، فالتطبيق يغذي النظرية بخبرات جديدة والنظرية تمنح التطبيق الإطار المفاهيمي والتفسيري اللازم لتوجيه الممارسة العلمية، ومن ثم لا يمكن تصور بحث تطبيقي مثمر من غير قاعدة معرفية أساسية، كما أن البحث الأساسي يظل غير ذي جدوى إن لم يجد طريقه إلى التطبيق في خدمة المجتمع وتنميته[2].

إن هذا التمييز على الرغم من بساطته الظاهرية، يبرز أحد الأبعاد الحيوية في الفكر العلمي الحديث، وهو الترابط الجدلي بين النظرية والممارسة، الذي يعبر عن النضج المنهجي للبحث العلمي في مختلف الحقول، ولا سيما في العلوم الاجتماعية التي تجمع بين الطابع التأملي والفعل العملي[3].

2- حسب المناهج (تجريبية – وصفية – تاريخية – تحليلية)

يعد تصنيف البحوث العلمية وفق المناهج المعتمدة من أهمّ التصنيفات المنهجية في البحث العلمي، إذ يعبر عن الزاوية الإجرائية التي يعتمدها الباحث في مقاربة موضوعه وتحليل الظاهرة المدروسة، وتتنوع المناهج باختلاف طبيعة المشكلة البحثية ومن أبرزها: المنهج التجريبي والمنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمناهج التحليلية.

المنهج التجريبي (Experimental Method):

يعد المنهج التجريبي من أقدم وأدق المناهج العلمية، ويقوم على ضبط المتغيرات والتحكم فيها لاكتشاف العلاقات السببية بين الظواهر، يعتمد هذا المنهج على الملاحظة المنظمة والتجربة المتكررة، بهدف التنبؤ والسيطرة على الظاهرة موضوع الدراسة، ورغم أنه يستخدم بكثرة في العلوم الطبيعية إلا أنه وجد طريقه إلى العلوم الاجتماعية عبر تصميم التجارب السلوكية والنفسية التي تسمح بفهم التأثيرات المتبادلة بين المتغيرات الاجتماعية والإنسانية[4].

المنهج الوصفي (Descriptive Method)

يركز المنهج الوصفي على دراسة الظواهر كما هي في الواقع دون تدخل الباحث في متغيراتها، فهو يسعى إلى وصفها بدقة من حيث خصائصها وعلاقاتها وأنماطها بهدف فهم الواقع الاجتماعي وتفسيره.

---

[1] محمد عبيدات، البحث العلمي: المفاهيم والمنهجيات، دار وائل للنشر، عمّان، 2019، ص. 63.

[2] فتحي أحمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2022، ص. 98.

[3] Creswell, John W., Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, California, 2018, p. 44.

[4] عبيدات ذوقان، عبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق، البحث العلمي: المفاهيم والأساليب والتطبيقات، دار الفكر، عمّان، 2021، ص. 104.

ويعد هذا المنهج الأكثر استخداما في العلوم الإنسانية، لأنه يتلاءم مع طبيعة الظواهر المعقدة التي يصعب إخضاعها للتجريب، مثل الاتجاهات والقيم والعلاقات الاجتماعية[1].

المنهج التاريخي (Historical Method)

يعنى المنهج التاريخي بدراسة الظواهر في سياقها الزمني والمكاني، وذلك من خلال تحليل الوثائق والمصادر التاريخية للكشف عن العوامل التي أسهمت في نشأة الظواهر وتطورها، ويستخدم هذا المنهج في دراسة تطور الفكر العلمي أو السياسي أو الاجتماعي، كما يتيح للباحث فهم الحاضر من خلال استقراء الماضي واستنتاج القوانين التي تحكم التحولات الإنسانية[2].

المنهج التحليلي (Analytical Method)

أما المنهج التحليلي فيرتكز على تفكيك الظواهر والعلاقات المعقدة إلى عناصرها المكونة بغية فهمها على نحو أعمق وإعادة تركيبها في ضوء نسق نظري أو مفاهيمي محدد، ويستخدم هذا المنهج في تحليل الخطابات والنصوص والمحتويات الاجتماعية والسياسية، وهو منهج جامع يجمع بين الأدوات الكيفية والكمية وفق طبيعة الموضوع وأهدافه[3].

يتبين من هذا التقسيم أن المناهج البحثية رغم تمايزها المفهومي والإجرائي تتكامل في ما بينها لتقديم فهم أعمق للظواهر الاجتماعية، فالمناهج التجريبية تقدم الدقة والضبط والوصفية تتيح الإحاطة بالواقع والتاريخية تفسر الجذور والتحليلية تمنح العمق المفهومي، ومن ثم فإن الباحث المتكامل هو من يحسن اختيار المنهج المناسب وتوظيفه بمرونة بما ينسجم مع إشكالية بحثه وأهدافه العلمية.

3- حسب المقاربة (كمية – كيفية – مختلطة)

تعد المقاربة المنهجية من أهم محددات طبيعة البحث العلمي، إذ تعبر عن المنظور الإبستيمولوجي والإجرائي الذي يوجه الباحث في جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، ومن هذا المنطلق يمكن التمييز بين المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية والمقاربة المختلطة، وهي تمثل الاتجاهات الثلاثة الكبرى في البحث المعاصر داخل العلوم الاجتماعية والإنسانية.

المقاربة الكمية (Quantitative Approach)

[1] الخوالدة أحمد، مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والتربوية، دار اليازوري العلمية، عمّان، 2020، ص. 88.

[2] العيسوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي وأدواته في العلوم النفسية والاجتماعية، دار غريب، القاهرة، 2019، ص. 67.

[3] زيتون كمال، منهجية البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الصفاء، عمّان، 2022، ص. 119.

تعتمد المقاربة الكمية على القياس الإحصائي والمعالجة الرقمية للظواهر الاجتماعية، بهدف الكشف عن العلاقات والأنماط والقوانين التي تحكمها، وتستند إلى الفرضيات القابلة للاختبار وإلى أدوات دقيقة مثل الاستبيانات والتجارب والتحليل الإحصائي للبيانات.

تتسم هذه المقاربة بالموضوعية وقابلية التعميم والقدرة على التنبؤ، وهو ما يجعلها أقرب إلى النموذج الطبيعي في البحث، غير أن الانتقادات التي وجهت إليها تتمثل في إهمالها للأبعاد الذاتية والثقافية للظواهر الإنسانية[1].

ورغم ذلك تبقى المقاربة الكمية أساسية في صياغة المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية وفي قياس الاتجاهات والسلوكيات الجماعية.

المقاربة الكيفية (Qualitative Approach)

تركز المقاربة الكيفية على فهم الظواهر في سياقها الطبيعي والمعنوي، من خلال تحليل الخطابات والسير الذاتية والمقابلات المفتوحة والملاحظة بالمشاركة، وهي مقاربة تسعى إلى اكتشاف المعاني التي يمنحها الأفراد لتجاربهم الاجتماعية بدل الاكتفاء بوصفها إحصائيا.

تنطلق هذه المقاربة من افتراض أن الواقع الاجتماعي متعدد الأوجه ومعقّد ومتغير ولا يمكن اختزاله إلى أرقام أو نسب، لذا فهي تعتمد على الاستقراء والتفسير والتفاعل الإنساني بوصفه أداة للفهم[2].

تستخدم المقاربة الكيفية بكثرة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والتربية، حيث تسهم في فهم العمق الثقافي والنفسي للظواهر.

المقاربة المختلطة (Mixed Methods Approach)

تمثل المقاربة المختلطة اتجاها حديثا يسعى إلى دمج المنهجين الكمي والكيفي في دراسة واحدة، لتحقيق توازن بين الدقة الإحصائية والفهم التفسيري.

يقوم هذا النهج على فكرة أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن فهمها إلا عبر تكامل البيانات الكمية التي تجيب عن "كم ؟"، والبيانات الكيفية التي تجيب عن "لماذا وكيف ؟" [3].

تستخدم هذه المقاربة في البحوث الميدانية المعقدة مثل دراسات التنمية والتعليم والرأي العام، لأنها توفر رؤية شمولية تسمح بالجمع بين التفسير والقياس، بين المعنى والعدد.

---

[1] السرطاوي عبد العزيز، مرجع سابق، ص. 132.

[2] الخوالدة أحمد، مرجع سابق، ص. 77.

[3] فتحي أحمد، مرجع سابق، ص. 102.

إن اختيار المقاربة البحثية لا يعد مجرد قرار تقني، بل هو اختيار معرفي ومنهجي يعكس طبيعة السؤال العلمي وموقع الباحث من الظاهرة المدروسة، فالمقاربة الكمية تجيب عن "ماذا يحدث؟"، والكيفية تجيب عن "كيف ولماذا يحدث؟"، أما المقاربة المختلطة فتمثل تجاوزا للثنائية التقليدية نحو رؤية تكاملية للبحث في العلوم الاجتماعية المعاصرة.

4- حسب الزمن (مستعرضة – طولية)

يعد تصنيف البحوث حسب البعد الزمني من أبرز المعايير المنهجية في تصميم الدراسات العلمية، خصوصا في ميدان العلوم الاجتماعية، حيث تتغير الظواهر والسلوكيات بتغير الزمن والسياق، ومن هذا المنطلق تقسم الدراسات إلى بحوث مستعرضة (Cross-sectional) وبحوث طولية (Longitudinal)، ويحدد هذا الاختلاف طبيعة الملاحظة ومدتها وأهداف التحليل العلمي.

البحوث المستعرضة (Cross-sectional Studies)

تجرى البحوث المستعرضة في فترة زمنية واحدة، وتهدف إلى وصف الظاهرة كما هي في لحظة محددة دون تتبع تطورها عبر الزمن.

يتم فيها جمع البيانات من عينة تمثل المجتمع في وقت معين بغرض تحديد الأنماط والعلاقات بين المتغيرات، مثل دراسة اتجاهات الشباب نحو التعليم أو البطالة أو القيم الاجتماعية في سنة محددة.

وتعد هذه البحوث أقل تكلفة وأسرع تنفيذا وهي مفيدة في وضع مؤشرات اجتماعية آنية، غير أنها لا تسمح باستخلاص علاقات سببية أو تتبع التغيرات الزمنية[1].

وتستخدم كثيرا في بحوث الرأي العام والسوسيولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، حيث يراد توصيف الظاهرة في حالتها الراهنة.

البحوث الطولية (Longitudinal Studies)

تعنى البحوث الطولية بدراسة الظواهر عبر فترات زمنية ممتدة من أجل تتبع التغيرات والتطورات التي تطرأ على الأفراد أو المجموعات أو المجتمعات.

ويمكن أن تكون هذه الدراسات ذات تصميم تتابعي (Panel Study) تدرس نفس الأفراد على مدى زمني طويل، أو تصميم زمني متتابع (Cohort Study) يدرس مجموعات مختلفة في مراحل زمنية متتابعة.

وتعد هذه البحوث أكثر دقة وعمقا في تفسير التحولات الاجتماعية والنفسية، إذ تمكن الباحث من فهم العلاقات السببية والزمنية بين المتغيرات، غير أنها مكلفة وتتطلب زمنا طويلا وموارد بشرية ومادية كبيرة[1].

[1] زيتون كمال، مرجع سابق، ص. 138.

والجدول الموالي يوضح بدقة المقارنة بين البحوث المستعرضة والطولية:

البعد المنهجي	البحث المستعرض	البحث الطولي
الإطار الزمني	لحظة واحدة	فترة ممتدة
الهدف	وصف الحالة الراهنة	تتبع التغيرات والتطورات
المدة والتكلفة	قصيرة وقليلة التكلفة	طويلة ومكلفة
القدرة التفسيرية	محدودة للسببية	عالية في تفسير العلاقات السببية
الاستخدام	الرأي العام، المسوح الاجتماعية	دراسات التنمية، السلوك، التغير الاجتماعي

يظهر هذا التقسيم الزمني أن اختيار نوع الدراسة ليس قرارا تقنيا فحسب، بل يتعلق بطبيعة الإشكالية العلمية وأهدافها، فإذا كان الهدف توصيف الحالة الاجتماعية في لحظة معينة تفضل الدراسة المستعرضة، أما إذا كان الهدف فهم التحول والتغير عبر الزمن فيعتمد التصميم الطولي.

كما أن التكامل بين هذين النمطين يعد من مظاهر النضج المنهجي في البحث الاجتماعي المعاصر، إذ تسمح الدراسات المستعرضة بتشخيص الوضع الراهن، في حين تمكن الدراسات الطولية من تفسير مسار الظواهر عبر الزمن[2].

[1] فتحي أحمد، مرجع سابق، ص. 144.

[2] فتحي أحمد، المرجع السابق، ص. 144.

الفصل السابع: خطوات البحث العلمي

يعد البحث العلمي وسيلة الإنسان لفهم العالم من حوله وتطوير معارفه بشكل منهجي ومنظم، وهو لا يقوم على الحدس أو الانطباع الشخصي، بل على خطوات دقيقة ومترابطة تضمن الدقة والموضوعية والتكرار، إن هذه الخطوات تمثل الإطار المنهجي الذي يسير عليه الباحث منذ بزوغ فكرة البحث إلى غاية عرض نتائجه ونشرها، بحيث تشكل كل خطوة منها حلقة ضرورية في سلسلة بناء المعرفة العلمية.

وتتنوع هذه الخطوات من باحث لآخر ومن حقل علمي لآخر لكن جوهرها يبقى واحدا، إذ يقوم على الملاحظة وصياغة المشكلات ووضع الفرضيات وجمع البيانات وتحليلها ثم تفسير النتائج.

1- اختيار المشكلة وصياغة السؤال البحثي

تعد مرحلة اختيار المشكلة وصياغة السؤال البحثي الخطوة الأولى والأساسية في مسار البحث العلمي، إذ تمثل نقطة الانطلاق الحقيقية لكل دراسة علمية، فالمشكلة البحثية هي المحرك الذي يوجه التفكير العلمي، ويحدد الإطار العام الذي ستدور فيه جميع الخطوات اللاحقة من جمع البيانات إلى التحليل والتفسير والاستنتاج.

مفهوم المشكلة البحثية

المشكلة البحثية هي قضية علمية محددة تحتاج إلى تفسير أو حل من خلال استخدام منهج علمي منظم وهي ليست مجرد موضوع عام، بل موقف غامض أو متناقض في المعرفة يتطلب معالجة علمية منهجية. فالمشكلة تمثل "الفجوة المعرفية" بين ما هو معلوم وما هو مجهول في مجال معين[1].

ويجب أن تتوافر في المشكلة البحثية خصائص محددة تجعلها قابلة للدراسة من أهمها:

- أن تكون محددة وواضحة في صياغتها.
- أن تكون قابلة للبحث والتحليل وليست مسألة رأي أو حكم قيمي.

[1] عبيدات ذوقان، عبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق، مرجع سابق، ص. 89.

- أن تكون ذات أهمية علمية أو اجتماعية.

- أن تكون قابلة للقياس والتحقق من خلال أدوات البحث العلمي.

معايير اختيار المشكلة البحثية

إن اختيار المشكلة البحثية عملية فكرية تتطلب إحاطة معرفية ومهارة نقدية، وتستند إلى مجموعة من المعايير الموضوعية أبرزها[1]:

مدى الأصالة والجدة: أي أن تضيف جديدا إلى المعرفة القائمة أو تعالج زاوية مهملة.

إمكانية البحث والتحقق: من حيث توفر البيانات والمصادر وإمكانية تطبيق المنهج المناسب.

الأهمية العلمية والاجتماعية: بحيث تسهم نتائجها في تطوير النظرية أو الممارسة.

مدى التحديد والدقة: أي أن تكون المشكلة قابلة للصياغة في صورة سؤال أو فرضية واضحة.

إن الباحث الجيد هو من يستطيع أن يحول اهتماما عاما أو ظاهرة غامضة إلى مشكلة علمية محددة وقابلة للدراسة.

صياغة السؤال البحثي

بعد تحديد المشكلة تأتي مرحلة صياغة السؤال البحثي الذي يعد القلب النابض للدراسة. فالسؤال البحثي هو الصياغة الدقيقة التي توجه البحث نحو الإجابة.

ويجب أن يتمتع السؤال البحثي بخصائص أساسية منها[2]:

الوضوح والدقة في الصياغة.

- أن يكون قابلا للبحث والتحقق باستخدام المنهج العلمي.

- أن يُعبر عن علاقة بين متغيرات يمكن دراستها ميدانيا أو نظريا.

- أن يكون موجها نحو هدف معرفي محدد وليس عاما أو إنشائيا.

فعلى سبيل المثال، بدلا من طرح سؤال عام مثل "ما تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الشباب؟"، يمكن صياغته بشكل علمي أكثر دقة "ما العلاقة بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ومستوى الاندماج الاجتماعي لدى الشباب الجامعي في الجزائر؟".

بهذا الشكل يتحول التساؤل الفضفاض إلى سؤال بحثي علمي محدد وواضح الأبعاد.

العلاقة بين المشكلة والسؤال البحثي

تعد العلاقة بين المشكلة والسؤال البحثي علاقة جدلية وتكاملية، فالمشكلة تمثل المجال العام للبحث بينما السؤال البحثي يترجمها إلى صياغة إجرائية تسمح بجمع البيانات وتحليلها.

---

[1] الخوالدة أحمد، مرجع سابق، ص. 64.

[2] فتحي أحمد، ص. 118.

ومن خلال السؤال البحثي تتشكل الفرضيات، وتختار المناهج وتحدد الأدوات، مما يجعل نجاح البحث العلمي مرهونا بسلامة اختيار المشكلة ودقة صياغة السؤال[1].

يمكن القول إن اختيار المشكلة وصياغة السؤال البحثي يشكلان اللبنة الأولى في البناء العلمي للبحث، وكلما كانت هذه المرحلة دقيقة ومبنية على قراءة نقدية للمعارف السابقة، كانت نتائج البحث أكثر عمقا وفاعلية، فالسؤال العلمي الجيد هو الذي يفتح أفق المعرفة ويقود إلى اكتشاف جديد أو تفسير مبتكر.

2- تحديد الفرضيات والأهداف

تحديد الفرضيات

تعد الفرضيات (Hypotheses) من أهم الركائز المنهجية في البحث العلمي، إذ تمثل تخمينا علميا مؤقتا يسعى الباحث إلى التحقق من صحته أو خطئه من خلال الدراسة الميدانية أو التحليل النظري، فالفرضية ليست مجرد رأي أو تخمين شخصي، بل هي تفسير مبدئي منطقي لعلاقة محتملة بين متغيرات يتم فحصها وفقا لأدلة علمية[2].

مفهوم الفرضية العلمية

الفرضية هي تصور مؤقت أو إجابة مبدئية عن سؤال البحث تستند إلى ملاحظات أو معرفة سابقة، وتخضع للاختبار للتأكد من صدقها.

يعرفها(Creswell) بأنها:

"عبارة أو جملة تتوقع وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر يمكن اختبارها علميًا بالاستناد إلى البيانات التجريبية أو الإحصائية.[3]"

أما أحمد فتحي فيرى أن الفرضية تمثل حلا مبدئيا للمشكلة البحثية، وهي التي تحدد مسار جمع البيانات ونوعية التحليل[4].

خصائص الفرضية الجيدة

لكي تكون الفرضية علمية وفعالة يجب أن تتوفر فيها مجموعة من الخصائص الأساسية أهمها:

القابلية للاختبار والتحقق: أي أن تكون الفرضية قابلة للقياس من خلال بيانات واقعية.

الوضوح والدقة في الصياغة: يجب أن تكون خالية من الغموض أو التعميم.

الاتساق المنطقي: بحيث لا تتناقض مع القوانين أو المعارف العلمية الثابتة.

---

[1] Creswell, John W., Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, California, 2018, p. 60.

[2] عبيدات ذوقان، عبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق، مرجع سابق، ص. 132.

[3] الخوالدة أحمد، مرجع سابق، ص. 78.

[4] فتحي أحمد، مرجع سابق، ص. 140.

الاستناد إلى أساس نظري: ينبغي أن تنطلق من خلفية معرفية أو دراسات سابقة.

القابلية للنفي أو التأكيد: الفرضية العلمية هي التي يمكن إثباتها أو دحضها بالبرهان.

أنواع الفرضيات:

يمكن تصنيف الفرضيات إلى أنواع متعددة بحسب طبيعة البحث ومجاله ومن أبرزها[1]:

الفرضيات الصفرية (Null Hypothesis): وتفترض عدم وجود علاقة بين المتغيرات.

الفرضيات البديلة (Alternative Hypothesis): وتفترض وجود علاقة ذات دلالة بين المتغيرات.

الفرضيات الوصفية: تستخدم في الدراسات الاستكشافية التي تهدف إلى وصف ظاهرة معينة.

الفرضيات التفسيرية أو السببية: تسعى إلى تفسير علاقة سببية بين متغيرين أو أكثر.

دور الفرضيات في البحث العلمي

تلعب الفرضيات دورا محوريا في توجيه مسار البحث إذ تساعد الباحث على:

- تركيز الجهود العلمية نحو مشكلة محددة.
- اختيار الأدوات والمنهج المناسب لجمع وتحليل البيانات.
- تفسير النتائج وربطها بالإطار النظري.
- تطوير المعرفة العلمية من خلال اختبار العلاقات بين الظواهر.

تحديد الأهداف:

بعد تحديد الفرضيات تأتي خطوة تحديد الأهداف، وهي تمثل ما يسعى البحث إلى تحقيقه من نتائج علمية أو تطبيقية.

فالأهداف هي بمثابة خارطة طريق تحدد الاتجاه العام للبحث وتوضح ما يطمح الباحث إلى إنجازه.

مفهوم أهداف البحث العلمي

يقصد بأهداف البحث تلك النتائج المرجوة التي يسعى الباحث إلى تحقيقها من خلال دراسته لمشكلة معينة، سواء كانت أهدافا نظرية تتعلق بتطوير المعرفة أو تطبيقية تسهم في حل مشكلة واقعية.

يقول أحمد الخوالدة: "الأهداف البحثية تمثل الترجمة العملية للمشكلة العلمية في شكل نتائج متوقعة أو مقاصد يسعى إليها الباحث[2]".

---

[1] Creswell, John W., Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, California, 2018, p. 82.

[2] الخوالدة أحمد، مرجع سابق، ص. 78.

خصائص الأهداف الجيدة:

ينبغي أن تتصف الأهداف بمجموعة من المواصفات العلمية حتى تكون واضحة ومحددة ومن أهمها:

- الوضوح والدقة في التعبير عن المقصود.
- القابلية للقياس من خلال مؤشرات محددة.
- الواقعية والإمكانية، أي أن تكون قابلة للتحقق ضمن حدود البحث.
- الارتباط المباشر بالمشكلة البحثية والفرضيات.
- الترتيب المنطقي من العام إلى الخاص (Cohen et al).

أنواع الأهداف

أهداف عامة: تمثل المقصد الكلي للبحث مثل: "التعرف على أثر وسائل التواصل الاجتماعي في العلاقات الأسرية."

أهداف خاصة: وهي تفصيلات عملية للأهداف العامة مثل:

دراسة العلاقة بين مدة استخدام وسائل التواصل ومستوى التفاعل الأسري.

معرفة الفروق بين الذكور والإناث في أنماط الاستخدام.

العلاقة بين الفرضيات والأهداف

العلاقة بين الفرضيات والأهداف علاقة تكامل وتلازم، إذ تستمد الأهداف من الفرضيات، بينما تختبر الفرضيات لتحقيق الأهداف.

فالفرضية تحدد ما يجب اختباره بينما الهدف يحدد ما يسعى الباحث إلى تحقيقه.

وبمعنى آخر إذا كانت الفرضية سؤالا مفتوحا ينتظر الجواب، فإن الهدف هو النتيجة المرجوة من الإجابة على ذلك السؤال[1].

يعتبر كل من تحديد الفرضيات والأهداف حجر الزاوية في نجاح أي بحث علمي.

فالفرضيات توجه المسار التحليلي والأهداف ترشد المسار العملي، وكلما كانت صياغتهما دقيقة ومنبثقة من مشكلة بحثية واضحة كانت نتائج البحث أكثر قيمة وموضوعية.

3- مراجعة الدراسات السابقة

تعد مراجعة الدراسات السابقة من الركائز الأساسية لأي بحث علمي، إذ تساعد الباحث على فهم تطور المعرفة في مجال الدراسة وتحديد الفجوات البحثية وبناء الإطار النظري والمنهجي للبحث، كما تسهم في توجيه صياغة الفرضيات البحثية واختيار المنهجية المناسبة.

[1] Flick, Uwe, An Introduction to Qualitative Research, 7th ed., SAGE Publications, London, 2020, p. 105.

أهداف مراجعة الدراسات السابقة

تحديد الفجوات البحثية: من خلال تحليل الدراسات السابقة يمكن معرفة المجالات التي لم تدرس بشكل كاف[1].

تطوير الإطار النظري: تساعد على بناء أساس معرفي قوي يستند إلى نتائج أبحاث سابقة[2].

توجيه صياغة الفرضيات: توفر الدراسات السابقة قاعدة علمية لصياغة الفرضيات بشكل دقيق[3].

تحليل المنهجيات: تمكن الباحث من مقارنة الأساليب المستخدمة وتقييم ملاءمتها لبحثه[4].

أنواع الدراسات السابقة

الدراسات المحلية والدولية: من المهم التمييز بين الدراسات التي أجريت في السياق المحلي وتلك الدولية، حيث يؤثر السياق الثقافي والاجتماعي على النتائج[5].

الدراسات الطولية والمستعرضة: الدراسات الطولية تتابع الظاهرة على فترة زمنية طويلة، بينما المستعرضة تحلل الظاهرة في نقطة زمنية محددة.

الدراسات النظرية والتطبيقية: يمكن أن تكون مراجعة الدراسات السابقة مركزة على التحليل النظري أو على التطبيقات العملية.

خطوات إعداد مراجعة الدراسات السابقة

جمع المصادر: البحث في قواعد البيانات العربية مثل مكتبة الجامعة الرقمية ودار المنظومة وقاعدة البيانات العلمية العربية.

تصنيف الدراسات: حسب الموضوع، المنهجية، النتائج، والزمن.

تحليل الدراسات: تحديد نقاط القوة والضعف، التناقضات بين النتائج، والاتجاهات الحديثة.

صياغة خلاصة: تقديم استنتاجات واضحة توجه البحث الحالي[6].

أهمية تحديث الدراسات السابقة

---

[1] عبد الله أحمد. منهجية البحث العلمي، الأسس والإجراءات، دار الفكر العربي2020،ص. 45-50.

[2] سعد خالد، مراجعة الأدبيات العلمية ،منهجية وأدوات، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية،2021. 15(1)، ص. 33-56 .

[3] الشريف محمد، التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على التعلم الجامعي ،دراسة تطبيقية ،المجلة العربية للتربية والتعليم، 2022، 18(2)، ص. 45-67.

[4] محمد سامي. تحليل الدراسات السابقة في البحث العلمي،منهج وتطبيق. دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2019، ص. 101-120.

[5] الحسيني علي، تدريب المعلمين على استخدام التكنولوجيا في التعليم العالي. مجلة البحوث التربوية العربية، 12(3)، 2021،ص. 89-104.

[6] الشريف محمد، المرجع السابق. ص. 45-67.

الاعتماد على الدراسات الحديثة (آخر 5 سنوات) يضمن أن البحث يعكس التطورات العلمية والمعرفية الأخيرة، مع دمج الدراسات الكلاسيكية لتقديم منظور شامل[1].

مثال عملي:

على سبيل المثال إذا كان البحث حول أثر التكنولوجيا على التعليم الجامعي فقد أظهرت الدراسات العربية الحديثة أن استخدام تقنيات التعلم الإلكتروني يعزز التفاعل الطلابي والتعلم الذاتي[2]، بينما أبرزت دراسات أخرى الحاجة إلى تدريب المعلمين على استخدام التكنولوجيا بفعالية[3]، هذا التحليل يساعد الباحث على تحديد الفجوات البحثية المتعلقة بفعالية تطبيق التكنولوجيا في السياق المحلي.

4- تصميم المنهج والأدوات

تعريف تصميم المنهج: تصميم المنهج في البحث العلمي يعني تحديد الطريقة الأنسب لجمع البيانات وتحليلها للوصول إلى أهداف البحث والإجابة عن أسئلته، ويعتمد التصميم على طبيعة المشكلة البحثية ونوع البحث (كمي، كيفي، أو مختلط)[4].

يشمل تصميم المنهج[5]:

تحديد نوع البحث: كمي، كيفي، أو مختلط.

اختيار المنهج العلمي: تجريبي، وصفي، تاريخي، دراسة حالة، تحليل محتوى، استطلاعي، إلخ.

تحديد عينة البحث: حجمها، طريقة اختيارها، ومعايير الشمول والاستبعاد.

اختيار أدوات جمع البيانات: استبيان، مقابلة، ملاحظة، وثائق، اختبارات، إلخ.

تحديد طريقة التحليل: تحليل إحصائي، تحليل محتوى، تحليل نوعي، أو مزيج من الأساليب.

عناصر تصميم المنهج

المجتمع والعينة:

المجتمع: جميع الأفراد أو الحالات التي يهتم الباحث بدراستها.

العينة: جزء ممثل من المجتمع ويجب اختيارها بطريقة عشوائية أو مقصودة حسب نوع البحث.

مثال: إذا كان البحث حول الطلاب الجامعيين، فالمجتمع هو كل الطلاب والعينة قد تكون 200 طالب مختارة بطريقة عشوائية أو مقصودة من جامعات مختلفة[1].

---

[1] الحسيني علي، المرجع السابق، ص. 89-104.

[2] الشريف محمد، مرجع سابق، ص. 45-67.

[3] المرجع نفسه، ص. 45-67.

[4] لزهيري أحمد، أساسيات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، عمان، دار الفكر العربي،2020، ص. 75.

[5] العتيبي فهد، منهجية البحث العلمي ،تصميم الدراسة وأدواتها، الرياض، جامعة الملك سعود،2019، ص. 45-78.

أدوات جمع البيانات

الاستبيان: مناسب للبحوث الكمية، يحتوي على أسئلة مغلقة أو مفتوحة.

المقابلة: مناسب للبحوث الكيفية لفهم الظواهر بعمق.

الملاحظة: لتسجيل السلوكيات أو الأحداث كما تحدث في الواقع.

الاختبارات: لتقييم مستوى معرفة أو مهارات محددة.

الوثائق والمصادر الثانوية: لدراسة الأحداث التاريخية أو تحليل محتوى النصوص.

إجراءات جمع البيانات: تحديد خطوات واضحة لجمع المعلومات لضمان المصداقية والموثوقية.

تحديد الجدول الزمني للتطبيق.

تدريب الباحثين أو فرق البحث على استخدام الأدوات بشكل صحيح.

تحليل البيانات

البحث الكمي: استخدام الأساليب الإحصائية (مثل SPSS، Excel).

البحث الكيفي: استخدام تحليل الموضوعات، تحليل السرد أو تحليل المحتوى.

في البحوث المختلطة: دمج الطريقتين حسب طبيعة السؤال البحثي[2].

أهمية تصميم المنهج والأدوات[3]:

يضمن اتساق البحث ودقته.

يسهل جمع البيانات بطريقة منظمة.

يساعد في تحقيق أهداف البحث والإجابة على أسئلته.

يعزز المصداقية العلمية للنتائج.

5- جمع البيانات وتحليلها

جمع البيانات: جمع البيانات هو العملية المنظمة للحصول على المعلومات التي يحتاجها الباحث للإجابة على أسئلة البحث واختبار فرضياته، يعتمد نوع البيانات على طبيعة البحث والمنهج المتبع[4].

مصادر البيانات[5]:

المصادر الأولية: بيانات يتم جمعها مباشرة من مجتمع البحث مثل:

الاستبيانات: أسئلة مغلقة أو مفتوحة لقياس آراء، مواقف أو سلوكيات.

---

[1] الحربي محمد، البحث العلمي في العلوم الإنسانية، من التصميم إلى التحليل، جدة، دار النشر الأكاديمي، 2021، ص. 60-95.

[2] الغامدي عبد الله، طرق جمع البيانات وتحليلها في البحوث الاجتماعية. القاهرة، المركز العربي للنشر، 2022،ص. 50-85.

[3] المرجع نفسه، ص. 50-85.

[4] الزهيري أحمد، مرجع سابق، ص. 111.

[5] العتيبي فهد، مرجع سابق ،ص. 79-120.

المقابلات: شخصية أو جماعية لفهم الظواهر بعمق.

الملاحظة: تسجيل السلوكيات أو الأحداث كما تحدث في الواقع.

الاختبارات: لتقييم معرفة أو مهارات محددة.

المصادر الثانوية: بيانات تم جمعها مسبقا لأغراض أخرى مثل:

الكتب والمراجع العلمية.

التقارير الحكومية أو الإحصاءات الرسمية.

المقالات الأكاديمية والدوريات.

خطوات جمع البيانات[1]:

تحديد نوع البيانات المطلوبة: كمية أو كيفية.

اختيار الأداة المناسبة: استبيان، مقابلة، ملاحظة، إلخ.

تجريب الأداة (Pilot Test): للتأكد من وضوح الأسئلة وملاءمتها.

تنفيذ جمع البيانات وفق خطة محددة: جدول زمني، فريق عمل، وأخلاقيات البحث (موافقة المشاركين، السرية، ....).

تحليل البيانات: تحليل البيانات هو معالجة المعلومات المجمعة لاستخلاص النتائج والإجابة عن أسئلة البحث، يختلف التحليل حسب نوع البيانات:

التحليل الكمي: يعتمد على الأساليب الإحصائية ويشمل:

الإحصاء الوصفي: المتوسط، الانحراف المعياري، النسب المئوية.

الإحصاء الاستدلالي: اختبار الفرضيات، معاملات الارتباط، تحليل التباين، الانحدار، ....

الأدوات الشائعة: SPSS، Excel.

التحليل الكيفي: يركز على فهم الظواهر وتفسير المعاني، يشمل[2]:

تحليل المحتوى: تصنيف البيانات النصية إلى موضوعات أو فئات.

تحليل السرد: دراسة القصص أو التجارب لفهم الخبرات الإنسانية.

التحليل الظواهري: وصف الظواهر كما هي.

التحليل المختلط: دمج الأساليب الكمية والكيفية حسب طبيعة البحث.

مثال: استخدام الاستبيانات لقياس الاتجاهات (كمي) مع المقابلات لفهم دوافع هذه الاتجاهات (كيفي).

---

[1] الحربي محمد، مرجع سابق، ص. 96-130 .

[2] الغامدي، عبد الله، مرجع سابق، ص. 86-125.

أهمية جمع البيانات وتحليلها

يضمن دقة وموثوقية النتائج.

يساعد على اتخاذ استنتاجات علمية سليمة.

يمكن الباحث من اختبار الفرضيات وتحقيق أهداف البحث.

يعزز المصداقية الأكاديمية للبحث ويتيح التوصية المبنية على الأدلة.

6- تفسير النتائج وكتابتها

تفسير النتائج:

تفسير النتائج هو عملية تحليل النتائج المستخلصة من البيانات وربطها بأهداف البحث وأسئلته، والهدف هو فهم معنى البيانات وتوضيح ما تشير إليه فيما يتعلق بالفرضيات أو التساؤلات البحثية.

خطوات تفسير النتائج

مراجعة البيانات المحللة: التأكد من دقة التحليل الإحصائي أو النوعي.

مقارنة النتائج مع الفرضيات أو الأسئلة البحثية: هل تؤيد النتائج الفرضيات أم تنفيها؟

ربط النتائج بالأدبيات السابقة: لتوضيح مدى اتفاق أو اختلاف النتائج مع الدراسات السابقة،

توضيح الدلالات العملية والنظرية: كيف تؤثر النتائج على المعرفة في المجال وما هو أثرها على الممارسة أو النظرية.

تقديم أمثلة وأدلة داعمة: مثل جداول، رسوم بيانية، أو اقتباسات من المقابلات[1].

كتابة النتائج:

كتابة النتائج يجب أن تكون واضحة ومنظمة وموضوعية، هناك بعض القواعد الأساسية[2]:

الترتيب المنطقي: عرض النتائج حسب الأسئلة البحثية أو الفرضيات.

الفصل بين النتائج والتفسير: في بعض البحوث يكتب الباحث النتائج بشكل مجرد أولا، ثم يفسرها في قسم منفصل.

استخدام الجداول والرسوم البيانية: لتسهيل فهم القارئ للبيانات الكمية.

الاقتباسات والتوثيق للبيانات النوعية: عند تحليل المقابلات أو الملاحظات يمكن استخدام اقتباسات مباشرة لدعم النتائج.

ويضاف الحيادية والموضوعية: تجنب التفسير الشخصي أو الانحياز عند عرض النتائج[1].

[1] الزهيري أحمد ، مرجع سابق، ص. 146-180.

[2] العتيبي فهد، مرجع سابق .ص. 121-150.

أهمية تفسير وكتابة النتائج[2]:

يوضح مدى نجاح البحث في تحقيق أهدافه.

يربط بين البيانات العلمية والمعرفة النظرية أو التطبيقية.

يوفر أساسا للتوصيات المستقبلية أو الدراسات اللاحقة.

يعزز مصداقية البحث وقيمته العلمية.

الفصل الثامن: مفهوم المنهج العلمي

يعد المنهج العلمي الركيزة الأساسية في بناء المعرفة الحديثة، فهو الإطار المنظم الذي يوجّه التفكير الإنساني نحو اكتشاف الحقيقة بطريقة موضوعية ومنضبطة، فالمنهج ليس مجرد مجموعة من القواعد الشكلية، بل هو طريقة في التفكير والعمل تهدف إلى فهم الظواهر وتحليلها والتحقق من صحتها.

وقد تطور مفهوم المنهج العلمي عبر التاريخ من التجارب الفلسفية الأولى عند أرسطو وأفلاطون، إلى المنهج التجريبي الحديث الذي أسسه فرانسيس بيكون وغاليليو، ثم إلى المناهج المعاصرة المتعددة التي تدمج بين الكم والكيف، بين التحليل النظري والتطبيق العملي.

إن فهم مفهوم المنهج العلمي يعد شرطا ضروريا لممارسة البحث العلمي الصحيح، لأن المنهج هو الذي يمنح البحث معناه ومشروعيته.

1- تعريف المنهج لغة واصطلاحا

تعريف المنهج لغة:

يرجع أصل كلمة "المنهج" في اللغة إلى مادة (ن هـ ج)، وهي تدل على الطريق الواضح المستقيم، جاء في لسان العرب: "النهج والمنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطريقَ ينهجه نهجا أي سلكه، ومنه قولهم: فلان على منهاجٍ حسن، أي على طريقٍ واضحٍ بين"[3].

ويقال "نهج فلان نهجا" أي سلك سبيلا محددا وواضح المعالم، ومن هنا فالمعنى اللغوي للمنهج يتصل ارتباطا وثيقا بفكرة الطريق أو السبيل الذي يسلك للوصول إلى غاية معينة.

ويؤكد الزبيدي في تاج العروس المعنى ذاته بقوله: "المنهاج هو الطريق المستقيم البين الذي لا التباس فيه"[4].

---

[1] الحربي محمد، مرجع سابق. ص. 131-165.

[2] الغامدي عبد الله، مرجع سابق، ص. 126-160.

[3] ابن منظور، مرجع سابق، ص. 644.

[4] الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، القاهرة، ج4، ص. 312.

إذن فالمعنى اللغوي للمنهج يتمحور حول وضوح المسار ودقة الاتجاه نحو الهدف المنشود، وهو ما يشكل الأساس الدلالي الذي بني عليه المعنى الاصطلاحي لاحقا في العلوم والفكر.

تعريف المنهج اصطلاحا

تعددت تعريفات المنهج باختلاف الحقول المعرفية، إلا أنها تتفق في كون المنهج هو خطة منظمة أو طريق محدد يتبع للوصول إلى المعرفة أو تحقيق هدف بحثي معين.

يعرف محمد شفيق غربال المنهج بأنه: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[1].

أما عبد الرحمن بدوي فيرى أن المنهج هو: "نسق من القواعد والمبادئ التي توجه الفكر في بحثه عن الحقيقة أو في دراسة ظاهرة معينة دراسة منظمة"[2].

بينما يذهب محمد عبده الهاشمي إلى أن المنهج هو "الخطة التي ترسم طريق السير في بحث موضوع معين، بحيث تضمن الوصول إلى نتائج علمية دقيقة يمكن الوثوق بها"[3].

من خلال هذه التعريفات يمكن استخلاص أن المنهج اصطلاحا يتضمن عناصر أساسية هي:

الطريق أو الخطة المنظمة التي تتبع في الدراسة.

الغاية وهي الوصول إلى معرفة دقيقة أو تفسير علمي للظواهر.

الأسس والقواعد التي تضمن موضوعية الباحث ودقة نتائجه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

إن الانتقال من المعنى اللغوي إلى الاصطلاحي في لفظ المنهج هو انتقال طبيعي من الطريق الحسي المادي إلى الطريق الفكري المنظم.

فكما أن الطريق الواضح يوصل السائر إلى وجهته، فإن المنهج العلمي هو الطريق الذي يهدي الباحث إلى الحقيقة، ومن هنا يتضح أن جوهر المنهج واحد، سواء أكان ماديا أو فكريا، لأنه يعنى دائما بـ"السير على طريق محدد وواضح نحو غاية مقصودة"[4].

أهمية تحديد مفهوم المنهج

يعد تحديد مفهوم المنهج خطوة أساسية في أي بحث علمي لأنه يرسم حدود البحث واتجاهاته، ويحدد طبيعة أدواته وأساليبه، فاختيار المنهج الملائم هو الذي يضمن الموضوعية والدقة والمصداقية في النتائج، وهو ما يجعل من تعريف المنهج أول مدخل لفهم طبيعة البحث العلمي نفسه.

---

[1] غربال محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، الطبعة الثانية، دار النهضة، القاهرة، 1997، ص. 1285.

[2] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص. 223.

[3] الهاشمي محمد عبده، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015، ص. 34.

[4] زيدان عبد الله، المنهج العلمي: مفهومه وأبعاده وتطبيقاته، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2018، ص. 56.

2- المنهج العلمي كطريقة في التفكير

المعنى العام للطريقة في التفكير: يقصد بطريقة التفكير المنهجية تلك القدرة الذهنية المنظمة التي توجه العقل في معالجة المعلومات، وبناء الفرضيات، واختبارها للوصول إلى نتائج موضوعية.

فالمنهج العلمي هنا يغدو طريقة تفكير نقدية ومنطقية، لا تقتصر على المختبرات أو البحوث الأكاديمية، بل تشمل كل موقف يتطلب تحليلا عقلانيا منظما قائما على الدليل.

ويشير عبد الرحمن بدوي إلى أن المنهج العلمي "أسلوب في التفكير المنظم الذي يبدأ من ملاحظة الظواهر ويمر بمرحلة الفرض والتحقق، ليصل إلى قانون أو نظرية تفسر الواقع[1]."

خصائص التفكير العلمي: يتصف التفكير العلمي بمجموعة من السمات المميزة التي تميزه عن التفكير العاطفي أو الغيبي أو التقليدي أهمها:

الموضوعية: أي التحرر من الميول الذاتية في تحليل الظواهر.

التحقق والتجريب: لا تقبل نتيجة دون أن تختبر ميدانيا أو تجريبيا.

المنطقية: الاستدلال القائم على علاقات سببية واضحة.

النقدية: مراجعة الفروض والنتائج باستمرار وعدم التسليم بالمسلمات.

الديناميكية والتجدد: فالعلم ليس معرفة جامدة بل عملية مستمرة من المراجعة والتصحيح.

كما يضيف الجابري أن التفكير العلمي "يعلم الإنسان كيف يسأل قبل أن يجيب وكيف يتحقق قبل أن يحكم وكيف يبرهن قبل أن يعتقد.[2]"

المنهج العلمي بين العقلانية والتجريب: المنهج العلمي باعتباره طريقة في التفكير يجمع بين العقلانية النظرية والتحقق التجريبي.

فالعقل يضع الفرضيات ويستنتج النتائج، أما التجربة فتختبر مدى مطابقة تلك الفرضيات للواقع.

وقد عبر عن هذا التكامل فرانسيس بيكون حين قال إن "العقل دون تجربة يضلّ، والتجربة دون عقل عمياء"[3].

ومن هنا يمكن القول إن المنهج العلمي هو موقف معرفي متكامل، يتأسس على تفاعل الذهن والواقع، النظرية والتطبيق، التحليل والتركيب.

المنهج العلمي وأبعاد التفكير النقدي:

---

[1] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، ج2، المرجع السابق، ص. 215- 223.

[2] الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص. 27.

[3] بيكون فرانسيس، الأورغانون الجديد، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984، ص. 41.

يعد التفكير النقدي أحد أعمدة المنهج العلمي، فالعقل العلمي لا يقبل الأفكار على ظاهرها، بل يحللها ويفككها ويعيد بناءها في ضوء الأدلة.

ويشير عبد الكريم بكار إلى أن "التفكير العلمي هو ممارسة دائمة للنقد المنظم، أي نقد الفكرة في ضوء الدليل لا في ضوء الموقف أو الهوى[1]."

من ثم فاتباع المنهج العلمي كطريقة في التفكير يعني[2]:

- إعمال العقل قبل اتخاذ الموقف
- استخدام البيانات بدل الانطباعات.
- اختبار الفرضيات بدل التسليم بالمعتقدات
- تحليل النتائج بدل تبنيها عاطفيًا.

مظاهر المنهج العلمي في التفكير اليومي

المنهج العلمي لا يمارس فقط في المختبر، بل في الحياة اليومية أيضا مثل:

اتخاذ قرارات بناء على الأدلة.

مقارنة البدائل وتحليل النتائج.

نقد الأخبار والإشاعات والتحقق من المصادر.

تنظيم التفكير وفق خطوات منطقية متسلسلة.

وهذا ما يجعل المنهج العلمي ثقافة فكرية بقدر ما هو أداة بحث[3].

أهداف التفكير العلمي: يمكن تلخيص أهداف المنهج العلمي كطريقة في التفكير في النقاط الآتية[4]:

- تحقيق فهم موضوعي للظواهر بعيدا عن الانطباعات الذاتية.
- إنتاج معرفة يمكن تعميمها والتحقق منها.
- توجيه السلوك الإنساني نحو حلول عقلانية للمشكلات الواقعية.
- تطوير التفكير النقدي والإبداعي في المجتمع العلمي والإنساني.

يتضح أن المنهج العلمي كطريقة في التفكير يمثل الأساس العقلي والمنهجي للبحث العلمي، فهو ليس مجرد سلسلة من الخطوات الإجرائية[1]، بل هو ثقافة فكرية متكاملة تقوم على احترام المنطق وإعمال العقل والتحقق التجريبي والنقد المستمر.

---

[1] بكار عبد الكريم، تكوين المفكر: خطوات عملية، دار القلم، دمشق، 2016، ص. 53.

[2] حسين أحمد أمين، العقل العلمي وتحديات التفكير المعاصر، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019، ص. 89.

[3] عبد الهادي فؤاد محمد، مناهج البحث العلمي، الأسس النظرية والتطبيقات، دار المسيرة، عمّان، 2021، ص. 112- 115.

[4] العساف صالح، مناهج البحث العلمي في العلوم السلوكية، دار الزهراء للنشر، الرياض، ط. 5، 2020، ص. 61.

إن المجتمعات التي تنمي هذا النوع من التفكير هي المجتمعات التي تمتلك قابلية التطور العلمي والإبداع المعرفي.

3- مكونات المنهج العلمي:

يعد المنهج العلمي الإطار المنظم للعقل الإنساني في سعيه نحو المعرفة، وهو لا يتحقق إلا من خلال مكونات مترابطة تشكل في مجموعها نسقا متكاملا من الخطوات والإجراءات والآليات.

فالمكونات الأساسية للمنهج العلمي ليست مجرد عناصر شكلية، بل هي بنية عقلية ومنطقية متسلسلة تجعل من التفكير العلمي عملية منهجية يمكن تكرارها واختبارها.

يقول عبد الهادي فؤاد محمد إن المنهج العلمي "لا يفهم إلا من خلال تماسك عناصره ومراحله ومكوناته، إذ يشكل كل مكوّن حلقة ضرورية في بناء عملية البحث العلمي"[2].

مفهوم مكونات المنهج العلمي: تعني مكونات المنهج العلمي العناصر الأساسية التي يقوم عليها المنهج وتضمن سيره المنظم نحو تحقيق أهدافه المعرفية.

وهي تشمل - بحسب طبيعة البحث - ما يلي:

المنطلقات النظرية (الأسس الفلسفية والمنطقية).

المفاهيم والمصطلحات.

الفرضيات والأسئلة البحثية.

أدوات جمع البيانات.

إجراءات التحليل والاستنتاج.

النتائج والتعميمات.

ويؤكد الهاشمي أن هذه المكونات "تعمل في تكامل ووحدةٍ عضوية، بحيث يؤدي اختلال أحدها إلى ضعف في البناء المنهجي كله"[3].

المكون الأول: الإطار المفهومي والنظري

هو الأساس الذي ينطلق منه البحث العلمي، ويشمل تحديد المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي يدور حولها البحث، إلى جانب الإطار النظري الذي يوجه عمليات الملاحظة والتحليل.

فالإطار النظري يحدد زاوية النظر إلى الظاهرة، ويتيح للباحث موقعا معرفيا منضبطا.

ويشير محمد عبده الهاشمي إلى أن "وضوح المفاهيم يحدد دقة المنهج، لأن المفهوم هو الأداة الأولى التي يفكر بها العقل العلمي."[1]

---

[1] زيدان عبد الله، المنهج العلمي ،مفهومه وأبعاده وتطبيقاته، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2018، ص. 64- 68.

[2] عبد الهادي فؤاد محمد، مرجع سابق، ص. 121- 127.

[3] الهاشمي محمد عبده، مرجع سابق، ص. 62-67.

إذن، يعد تحديد المفاهيم وضبطها بدقة مكونا أوليا ضروريا، يُمكن الباحث من ربط التجريد بالنموذج الواقعي.

المكون الثاني: الفروض والأسئلة البحثية

الفروض تمثل العمود الفقري للبحث العلمي، فهي تصور مبدئي أو إجابة مؤقتة عن مشكلة البحث، تنتظر التحقق أو الدحض.

ويعرف الفرض العلمي بأنه "تخمين علمي مبرر يفسر علاقة بين متغيرين أو أكثر قابل للاختبار التجريبي"[2].

يعد هذا المكوّن جوهريا في المنهج العلمي لأنه يوجه الملاحظة، ويحدد نوع المنهج (تجريبي، وصفي، تحليلي...)، ويؤسس لخطوات جمع وتحليل البيانات.

المكون الثالث: أدوات جمع البيانات

تستخدم أدوات مختلفة تبعا لطبيعة الظاهرة المدروسة منها:

الاستبيان في الدراسات الكمية.

المقابلة والملاحظة في الدراسات الكيفية.

الوثائق والأرشيفات في الدراسات التاريخية.

التجربة في البحوث التجريبية والعلمية.

ويشير سعيد إسماعيل علي [3] إلى أن "أداة البحث ليست مجرد وسيلة تقنية، بل تمثل حلقة وصل بين الفكر والواقع، وهي تجسيد عملي للمنهج في ميدانه التطبيقي."

وبذلك تصبح أدوات البحث جزءا أساسيا من البنية المنهجية لأنها تمكن الباحث من الانتقال من التصور النظري إلى الملاحظة التجريبية.

المكون الرابع: إجراءات التحليل والاستدلال

بعد جمع البيانات تأتي مرحلة التحليل، وهي أكثر مراحل المنهج العلمي دلالة على طبيعته العقلانية.

تشمل هذه المرحلة:

- التحليل الإحصائي الكمي للبيانات الرقمية.
- التحليل المضموني أو الموضوعي للبيانات النوعية.
- الاستدلال المنطقي لاستخلاص العلاقات السببية.

---

[1] المرجع نفسه، ص. 62-67.

[2] العسّاف صالح، مرجع سابق، ص. 83–90.

[3] علي سعيد إسماعيل، فلسفة العلم والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2019، ص. 142–147.

ويشير محمد عابد الجابري إلى أن "تحويل المعطيات إلى معانٍ علمية لا يتم إلا من خلال عمليات ذهنية ومنهجية دقيقة، هي ما يعرف بالتحليل والاستدلال المنهجي[1]."

إذن هذا المكون هو الذي يمنح البحث طابعه العلمي الصارم، لأنه يربط بين البيانات الخام والمعرفة المنظمة.

المكون الخامس: النتائج والتعميمات

تشكل النتائج المحصلة النهائية للمنهج العلمي، وهي المخرجات التي تسهم في بناء المعرفة.

ويجب أن تتصف النتائج العلمية بخصائص محددة:

الصدق (مطابقة الواقع التجريبي).

الموضوعية (خلوها من التحيز).

القابلية للتحقق والتكرار.

إمكانية التعميم في سياقات مشابهة.

ويؤكد عبد الله زيدان أن "النتيجة العلمية لا تعد علمية إلا بقدر ما يمكن إعادة اختبارها من قبل باحثين آخرين في نفس الظروف المنهجية[2]."

المكون السادس: القيم الأخلاقية والعقلية للمنهج العلمي

وهو مكون حديث في الدراسات المعاصرة، يشير إلى أن المنهج العلمي لا يقوم فقط على أدوات وتقنيات بل أيضا على قيم فكرية مثل:

النزاهة الفكرية،

احترام الحقيقة،

تجنّب التحيّز،

الأمانة العلمية في النقل والاستشهاد.

ويضيف عبد الكريم بكار أن المنهج العلمي في جوهره "سلوك معرفي قيمي بقدر ما هو نظام فكري"، إذ لا يمكن للعقل أن ينتج علما دون التزام أخلاقي بالصدق والمنهجية[3].

العلاقة التكاملية بين المكونات

تشكل المكونات السابقة بنية متكاملة، إذ يرتبط كل عنصر بالآخر في نسق منظم:

المفاهيم ـــــــــــــ تولد الفروض.

الفروض ـــــــــــــ توجه جمع البيانات.

---

[1] الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، مرجع سابق، ص. 201.

[2] زيدان عبد الله. المنهج العلمي، مفهومه وأبعاده وتطبيقاته، مرجع سابق، ص. 70- 72.

[3] بكار عبد الكريم، تكوين المفكر، خطوات عملية في بناء الفكر المنهجي، مرجع سابق، ص. 59.

البيانات ———————— تخضع للتحليل.

التحليل ———————— يؤدي إلى النتائج.

النتائج ———————— تغني الإطار النظري مجددا.

هذا الترابط يجعل المنهج العلمي دورة فكرية مستمرة، تتيح تطور المعرفة وإعادة بناءها باستمرار.

إن مكونات المنهج العلمي تشكل الهيكل الداخلي الذي يقوم عليه البحث، وهي التي تضمن طابعه المنطقي والموضوعي.

فالمنهج لا يفهم كإجراءات منفصلة، بل كبنية فكرية متكاملة تسعى إلى تحقيق الانسجام بين النظرية والتطبيق، بين المفهوم والواقع، بين الفرضية والتجربة وبين العقل والبيان.

وبقدر ما تكون هذه المكونات واضحة ومترابطة، بقدر ما يكون البحث العلمي قادرا على الإقناع والإضافة المعرفية.

4- خصائص المنهج العلمي الجيد

يعد المنهج العلمي حجر الأساس في بناء المعرفة الموضوعية، إذ لا يمكن للعلم أن يحقق أهدافه في الفهم والتفسير والتنبؤ دون اتباع منهج سليم يوجه سير البحث، والمنهج الجيد لا يقاس فقط بسلامة خطواته الإجرائية، بل بقدرته على تحقيق الدقة والموضوعية والانسجام المنطقي بين مراحله، لذلك فإن تحديد خصائص المنهج العلمي الجيد يمثل جوهر الفعالية في العمل البحثي[1].

أهم خصائص المنهج العلمي الجيد

الموضوعية (Objectivity): تعد الموضوعية من أبرز خصائص المنهج العلمي، وتعني التحرر من التحيزات الذاتية والعاطفية في جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها، فالباحث العلمي لا ينطلق من رغباته أو معتقداته الشخصية، وإنما من واقع الظواهر المدروسة كما هي.

ويؤكد عبد الباسط حسن أن الموضوعية شرط ضروري لإنتاج معرفة علمية قابلة للتحقق، إذ "لا علم بدون حياد، ولا حياد بدون منهج منظم يوجه الباحث نحو الحقيقة دون انحراف"[2].

التراكمية (Cumulativeness): تتميز المعرفة العلمية بأنها تراكمية، أي أن كل بحث علمي يبنى على ما سبقه من بحوث، ويضيف لبنة جديدة إلى البناء المعرفي القائم، والمنهج الجيد هو الذي يسمح بتراكم النتائج وتطويرها عبر الزمن.

وقد أشار طه عبد الرحمن إلى أن التراكمية تمثل مظهرا من مظاهر "النمو الذاتي للعلم"، حيث تتكامل النتائج وتتطور الأدوات والمفاهيم بتفاعل دائم بين النظري والتطبيقي[1].

---

[1] حميدة ناصر عبد الله، أسس ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019، ص. 45.

[2] حسن عبد الباسط، منهجية البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمّان، 2021، ص. 112.

الدقة والصرامة المنطقية (Accuracy and Logical Rigor): يقوم المنهج العلمي على الضبط والدقة في الملاحظة والقياس والتحليل، وعلى الاتساق المنطقي بين الفروض والنتائج، فالمنهج الجيد يلتزم بالوضوح المفهومي والصرامة في البرهان والاستدلال.

ويشير عبد القادر شريف إلى أن "غياب الدقة المنهجية يفضي إلى نتائج مضللة، في حين أن الالتزام الصارم بخطوات البحث يضمن اتساق النتائج وقابليتها للتحقق"[2].

القابلية للتحقق (Verifiability): من خصائص المنهج الجيد أن تكون نتائجه قابلة للتحقق والتكرار في الظروف نفسها، أي يمكن لباحث آخر أن يعيد نفس الخطوات ليحصل على نتائج مماثلة.

يقول محمد عابد الجابري إن التحقق هو ما يميز التفكير العلمي عن التفكير الإيديولوجي، لأن "المعرفة العلمية لا تقبل إلا إذا أمكن اختبارها وإثبات صدقها في الواقع"[3].

المرونة والتطور (Flexibility and Adaptability): المنهج العلمي الجيد ليس قالبا جامدا، بل هو منظومة ديناميكية قابلة للتطوير وفقا لطبيعة الظواهر والمتغيرات الجديدة، فالعلم لا يتقدم إلا بإعادة النظر المستمرة في مناهجه وأدواته.

ويؤكد خلف الله أحمد أن المنهج الناجع هو الذي "يتطور مع تطور الظواهر والمعارف، فيستجيب لمقتضيات البحث دون أن يفقد صرامته أو اتزانه المنطقي"[4].

الاقتصاد في الجهد والوقت (Economy of Effort): يهدف المنهج العلمي الجيد إلى تحقيق أقصى النتائج بأقل جهد ووقت ممكنين، وذلك بفضل وضوح خطواته وتنظيم إجراءاته. فالمنهج الواضح يختصر الطريق نحو الحقيقة، بينما العشوائية تشتّت الجهد وتضعف النتائج[5].

القابلية للتعميم (Generalisability): من خصائص المنهج الجيد أن ينتج نتائج يمكن تعميمها على ظواهر مشابهة في سياقات أخرى، متى توافرت الشروط نفسها، وهذه الخاصية تجعل المعرفة العلمية قابلة للتطبيق لا حبيسة إطارها النظري[6].

يمكن القول إن المنهج العلمي الجيد هو الذي يجمع بين الصرامة المنهجية والمرونة الفكرية، بين التحقق التجريبي والاتساق المنطقي، فكل خاصية من خصائصه تمثل دعامة لضمان صدقية المعرفة

---

[1] عبد الرحمن طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2018، ص. 87.

[2] شريف عبد القادر، المنهج العلمي وأسس التفكير النقدي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2020، ص. 56.

[3] الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي، مرجع سابق، ص. 73.

[4] خلف الله أحمد محمد، فلسفة مناهج البحث العلمي وتطورها، دار الرشاد، الجزائر، 2022، ص. 103.

[5] حسين عبد الله. مناهج البحث العلمي، المفاهيم والتطبيقات، دار اليازوري، عمّان، 2020، ص. 69.

[6] رزوق سامي، المنهج العلمي في العلوم الإنسانية، رؤية نقدية، دار الأفق، بيروت، 2019، ص. 82.

العلمية واستمراريتها، ومن ثم فإن جودة المنهج ليست مسألة شكلية، بل هي شرط جوهري في بناء البحث العلمي الموثوق.

5- المنهج العلمي بين النظرية والتطبيق

يعد المنهج العلمي أحد أعمدة التفكير المنظم في شتى مجالات المعرفة، غير أن قيمته لا تتحقق إلا إذا توازنت نظريته مع تطبيقه العملي، فالنظرية توفر الأسس والمبادئ التي تضبط خطوات البحث، في حين يمثل التطبيق الجانب الإجرائي الذي يختبر صحة تلك المبادئ على أرض الواقع، ومن هنا تنشأ العلاقة الجدلية بين المنهج بوصفه تصورا فكريا (نظريا) وبين الممارسة البحثية الواقعية (تطبيقيا)[1].

المنهج العلمي من حيث الجانب النظري:

الجانب النظري من المنهج العلمي يتمثل في الإطار الفكري والمفاهيمي الذي يوجّه عملية البحث العلمي، ويتضمن مجموعة من المبادئ والقواعد المنطقية التي تنظم التفكير في الظواهر والحقائق.

ويرى حمدان أن النظرية في المنهج العلمي تؤدي ثلاث وظائف أساسية[2]:

تحديد المفاهيم الأساسية التي ينطلق منها الباحث.

صياغة الفروض التي تفسر الظواهر وتربط بينها.

تحديد اتجاه البحث وأسلوب تفسير النتائج.

إن هذا البعد النظري يمنح البحث العلمي طابعه المنهجي المنظم، ويحول دون الانزلاق إلى العشوائية أو الانطباعية، فالمنهج العلمي كنظرية هو "بوصلة عقلية" توجه الباحث نحو الطريق الصحيح للوصول إلى الحقيقة[3].

المنهج العلمي من حيث الجانب التطبيقي:

أما من الناحية التطبيقية، فإن المنهج العلمي يترجم إلى خطوات عملية وإجراءات واقعية تبدأ من تحديد المشكلة، مرورا بجمع البيانات وتحليلها وانتهاء باستخلاص النتائج والتوصيات.

ووفقا للسرجاني فإن الجانب التطبيقي للمنهج هو الذي يمنح النظرية صدقها وقيمتها العلمية، إذ "لا يمكن الحكم على صلاحية أي منهج إلا من خلال نتائجه الفعلية في الميدان"[4].

ويضيف حمودة أن التطبيق العملي للمنهج يعد اختبارا حقيقيا لمدى صلاحية الفروض النظرية، وهو ما يميز البحث العلمي عن التفكير الفلسفي المجرد أو التأمل الذاتي[5].

---

[1] الزعبي محمد عبد الكريم، مرجع سابق، ص. 37.

[2] حمدان رامي عبد القادر، أسس التفكير العلمي ومنهجية البحث الأكاديمي، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019، ص. 64.

[3] الموسوي عبد الرزاق، الفكر المنهجي في العلوم الحديثة، دار الرافدين، بيروت، 2021، ص. 51.

[4] السرجاني محمود، المنهج العلمي وتطبيقاته في البحوث الإنسانية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2022، ص. 88.

[5] حمودة فاطمة، تطبيقات المنهج العلمي في البحث الميداني، دار اليازوري، عمان، 2020، ص. 74.

التكامل بين النظرية والتطبيق:

لا يمكن فصل المنهج العلمي إلى جزأين متقابلين، بل هما جانبان متكاملان يشكلان وحدة معرفية واحدة، فالنظرية ترشد التطبيق، والتطبيق يغني النظرية ويختبرها.

ويؤكد عبد السلام أن العلاقة بينهما علاقة تفاعل متبادل، فحين تختبر النظرية في الواقع تتولد عنها معطيات جديدة تعيد بناءها وتطويرها، ومن ثم فإن المنهج العلمي يعيش في "حركة دائمة بين التجريد العقلي والتجريب العملي"[1].

من جهة أخرى يؤدي الإفراط في الجانب النظري إلى جمود فكري، بينما الإفراط في الجانب التطبيقي دون أساس نظري يؤدي إلى اضطراب في النتائج وضعف في التفسير [2]، ومن ثم فإن فعالية المنهج العلمي تعتمد على التوازن الدقيق بين الإطار الفكري والتنفيذ العملي.

تطبيقات المنهج العلمي في العلوم الإنسانية والطبيعية

يظهر التطبيق العملي للمنهج العلمي اختلافا بين مجالات المعرفة، ففي العلوم الطبيعية يتجسد التطبيق من خلال التجربة والملاحظة والقياس الدقيق، وفق خطوات محددة ونتائج قابلة للتكرار.

أما في العلوم الإنسانية والاجتماعية فإن التطبيق يأخذ طابعا تفسيريا وتحليليا يعتمد على فهم الظواهر ضمن سياقاتها الثقافية والاجتماعية، مع الالتزام بموضوعية المنهج العلمي قدر الإمكان [3].

ومع ذلك فإن كلا الميدانين يشتركان في خضوعهما للمنهج العلمي كمبدأ منظم للتفكير وإن اختلفت أدواتهما وطرائق تطبيقهما.

يتبين أن المنهج العلمي الجيد لا يختزل في كونه مجموعة من الخطوات الإجرائية، بل هو نظام معرفي متكامل يربط بين النظرية والتطبيق في تفاعل مستمر، فالنظرية بلا تطبيق تظل مجرد بناء ذهني والتطبيق بلا نظرية يفتقد الاتجاه والمعيار، ومن هنا يتجلى جوهر المنهج العلمي في الجمع بين الفهم العقلي الدقيق والتجريب الواقعي المنضبط، وهو ما يجعل العلم في تطور دائم نحو مزيد من الموضوعية والدقة.

[1] عبد السلام عبد الله، النظرية والمنهج في البحث العلمي، دار الأفق، بيروت، 2021، ص. 102.

[2] الشمري أحمد ناصر، مرجع سابق، ص. 59.

[3] برغوث سامية ،مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة، الجزائر، 2022، ص. 93.

الباب الثاني :الفصول التطبيقية: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية

يشكل هذا الباب الانتقال من الإطار النظري والمنهجي إلى المجال التطبيقي والعملي في البحث العلمي، إذ تعنى الفصول التي يتضمنها بتفصيل مناهج البحث المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية، من حيث أسسها العلمية وإجراءاتها الميدانية وأدواتها البحثية، فالعلوم الاجتماعية بطبيعتها المعقدة والمتغيرة تفرض على الباحث انتقاء المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة موضوعه، سواء أكان كميا يعتمد على القياس والبيانات الإحصائية، أو كيفيا يستند إلى الفهم والتأويل والسياق الثقافي، ومن ثم يهدف هذا الباب إلى إبراز كيفية تجسيد المنهج العلمي في الممارسة البحثية داخل العلوم الاجتماعية، من خلال عرض نماذج تطبيقية توضح مراحل البحث وأدوات جمع البيانات وأساليب تحليلها وصولا إلى تفسير النتائج، وبهذا يمثل هذا الباب حلقة الوصل بين النظرية والتطبيق، ويعد اختبارا عمليا لمدى فاعلية المناهج المدروسة في تحليل الواقع الاجتماعي وفهم حركته وديناميته.

الفصل التاسع: المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي من أقدم المناهج التي استخدمها الإنسان في فهم ذاته ومجتمعه، فهو لا يدرس الماضي لذاته بل يسعى إلى تحليل الأحداث وتفسيرها وربطها بسياقاتها الزمنية لفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

إن دراسة الظواهر من منظورها التاريخي يساعد على إدراك تطورها والعوامل التي أسهمت في ظهورها وتحولها عبر الزمن، ولهذا يحتل المنهج التاريخي مكانة بارزة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي ميادين متعددة كالفلسفة وعلم الاجتماع والتربية والاقتصاد والسياسة.

ويهدف هذا الفصل إلى توضيح مفهوم المنهج التاريخي وأسس استخدامه وخطواته وأهميته العلمية، مع تحليل أبرز الإشكالات التي تواجه تطبيقه.

1- مفهوم المنهج التاريخي

يقصد بالمنهج التاريخي الطريقة العلمية التي يستخدم فيها الماضي لفهم الظواهر والأحداث وتحليلها في سياقها الزمني من أجل استنتاج العلاقات والاتجاهات العامة.

ولا يقتصر المنهج التاريخي على سرد الوقائع كما كانت، بل يتجاوز ذلك إلى تفسيرها وتحليلها وتحقيقها، أي التثبت من صحتها ومن مصادرها الأصلية[1].

ومن الناحية الإجرائية يقوم هذا المنهج على تتبع الظواهر في مراحلها المختلفة واكتشاف أسبابها ونتائجها، بهدف الوصول إلى فهم موضوعي للماضي وعلاقته بالحاضر.

يعرفه عبد الرحمن بدوي بأنه: "المنهج الذي يتخذ من الوقائع الماضية موضوعا له، محاولا تفسيرها تفسيرا علميا يبرز العلاقات السببية والاتجاهات العامة التي تحكم التطور الإنساني"[2].

أما محمد حمدان فيرى أن المنهج التاريخي هو: "الأسلوب العلمي الذي يعتمد على تحليل الوثائق والمصادر المختلفة للكشف عن الحقائق التاريخية، ثم تفسيرها في ضوء السياق الزمني والاجتماعي الذي نشأت فيه"[3].

بينما يعرفه البيطار بأنه: "منهج علمي تحليلي يدرس الظواهر في إطارها الزمني بهدف الكشف عن تطورها وأسباب تحولها عبر الزمن، معتمدا على النقد والتحقق من صدقية المصادر"[4].

من خلال هذه التعريفات يمكن استخلاص أن المنهج التاريخي هو منهج وصفي- تحليلي يقوم على التحقيق، النقد، والمقارنة للوصول إلى فهم موضوعي لحركة الظواهر الإنسانية عبر الزمن.

2- الأسس العلمية للمنهج التاريخي

يقوم المنهج التاريخي على مجموعة من المبادئ الأساسية التي تمنحه طابعا علميا ومن أبرزها[5]:

التحقق من المصادر: أي نقد الوثائق والمراجع للتأكد من أصالتها ودقتها، وهو ما يعرف بـ"النقد الخارجي" و"النقد الداخلي".

الترابط الزمني: فهم الظواهر في تسلسلها التاريخي دون إسقاط أحكام الحاضر على الماضي.

الحياد والموضوعية: التزام الباحث بعدم تحريف الوقائع بما يتفق مع ميوله أو انتماءاته الفكرية.

التفسير السببي: البحث عن العلاقات بين الأحداث وتحديد الأسباب التي أدت إلى وقوعها لا مجرد وصفها.

الاعتماد على الوثيقة: لأن الوثيقة تشكل الأساس المادي الذي يقوم عليه كل تحليل تاريخي علمي.

3- خطوات تطبيق المنهج التاريخي

يمر تطبيق المنهج التاريخي بعدة مراحل مترابطة وهي[1]:

---

[1] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة،ج2، مرجع سابق، ص. 274.

[2] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة،ج2، المرجع السابق، ص. 274.

[3] حمدان محمد، المنهج التاريخي وأهميته في البحث العلمي، مرجع سابق، ص. 63.

[4] البيطار أحمد، المنهج التاريخي في العلوم الاجتماعية، المفهوم والوظيفة والتطبيقات، دار الفكر العربي، القاهرة، 2022، ص. 112.

[5] كولن لوكاس، المنهج التاريخي في الدراسات الاجتماعية، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012.ص40.

تحديد المشكلة التاريخية أو السؤال البحثي: أي تحديد الحدث أو الظاهرة التي يرغب الباحث في دراستها.

جمع المصادر والوثائق: وتشمل الوثائق الرسمية والمذكرات والكتب والصحف والنقوش والخرائط وغيرها من الأدلة المادية أو المكتوبة.

نقد المصادر: من خلال التثبت من صحتها وسلامتها ومصداقية كاتبها وسياقها التاريخي.

تحليل المعلومات وتنظيمها: بربط الأحداث ببعضها زمنيا ومنطقيا للكشف عن العوامل المؤثرة فيها.

صياغة النتائج والتفسير: في ضوء الأدلة مع تجنب التعميم المفرط أو الأحكام المسبقة.

إن هذه الخطوات تمكن الباحث من الانتقال من جمع المعلومات إلى بناء رؤية تاريخية متكاملة تتجاوز السرد إلى التحليل والفهم.

4- أهمية المنهج التاريخي

تكمن أهمية المنهج التاريخي في أنه يمكن الباحث من فهم الحاضر في ضوء الماضي، إذ لا يمكن تفسير ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو فكرية دون معرفة جذورها التاريخية.

كما يتيح هذا المنهج دراسة تطور الأفكار والنظم والمؤسسات والكشف عن القوانين أو الاتجاهات العامة التي تحكم حركة المجتمعات.

وفي ميادين العلوم الاجتماعية يستخدم المنهج التاريخي لتوضيح مسار تطور المفاهيم والنظريات، مثل تطور فكرة الدولة أو مفهوم الحرية أو النظم الاقتصادية.

إنه منهج يساعد على إدراك البعد الزمني للظواهر الإنسانية، ويمنح الباحث نظرة شمولية تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل.

5 - إشكالات المنهج التاريخي

رغم أهميته يواجه المنهج التاريخي بعض التحديات والإشكالات أبرزها[2]:

ندرة الوثائق أو فقدانها: خاصة في الفترات القديمة أو في المجتمعات الشفوية.

تحيز المصادر التاريخية: إذ قد تعكس وجهة نظر كاتبها أو السلطة التي عاصرتها.

صعوبة تحقيق الموضوعية الكاملة: لأن الباحث ينتمي بدوره إلى ثقافة وزمن قد يؤثران في تفسيره للأحداث.

تداخل التاريخ مع التأويل الفلسفي أو الإيديولوجي: مما يفرض على الباحث أن يوازن بين التحليل الواقعي والنقد الفكري.

---

[1] كار إدوارد هاليت، ما هو التاريخ؟، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار المعارف، 1993. ص47.

[2] Gaddis, John Lewis. The Landscape of History: How Historians Map the Past. Oxford University Press, 2002.p144

ومع ذلك فإنّ الوعي بهذه الإشكالات يساعد على تجاوزها عبر النقد العلمي الصارم واستخدام مناهج مساعدة مثل المنهج المقارن أو التحليل الكمي للبيانات التاريخية.

6- المنهج التاريخي والمناهج الأخرى

يعد المنهج التاريخي مكملا لبقية المناهج العلمية، إذ يمكن الجمع بينه وبين المنهج الوصفي أو المقارن أو التحليلي.

ففي علم الاجتماع مثلا يستخدم المنهج التاريخي لفهم تطور البنى الاجتماعية، وفي الفلسفة يستعان به لتتبع تطور المفاهيم عبر العصور، أما في التربية فيستخدم لتحليل تطور النظم التعليمية عبر التاريخ.

وبذلك لا ينظر إلى المنهج التاريخي كمنهج مستقل فقط، بل كأداة معرفية تتيح فهم التغير عبر الزمن في مختلف المجالات.

إن المنهج التاريخي ليس مجرد دراسة للماضي بل هو مدخل علمي لفهم الواقع الإنساني في امتداده الزمني، فهو يتيح للباحث تحليل الظواهر في سياقاتها الأصلية وفهم العوامل التي شكلتها واستخلاص الدروس منها[1].

ومن خلال التوظيف الواعي لهذا المنهج يصبح التاريخ أداة لفهم الإنسان لا مجرد سرد للأحداث، ويغدو البحث العلمي أكثر عمقا واتساعا في رؤيته للواقع والمستقبل.

إن القيمة الحقيقية للمنهج التاريخي تكمن في قدرته على ربط الحاضر بجذوره، وتوجيه المعرفة الإنسانية نحو فهم شامل ومستنير للوجود الإنساني عبر الزمن.

[1] مارك بلوخ، دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2007.ص155.

الفصل العاشر: منهج دراسة الحالة

يعد منهج دراسة الحالة من أبرز المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث يركز على فهم الظواهر بعمق من خلال تحليل حالة واحدة أو عدد محدود من الحالات بشكل شامل ومتكامل.

يختلف هذا المنهج عن غيره من المناهج الكمية التي تهتم بالإحصاء والتعميم، فهو يسعى إلى الوصف التحليلي والتفسير العميق لسلوك الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات ضمن سياقها الواقعي.

تنبع أهمية منهج دراسة الحالة من قدرته على الكشف عن الجوانب الخفية والمعقدة للظواهر، مما يجعله أداة فعالة في ميادين مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتربية والإدارة والأنثروبولوجيا.

يهدف هذا الفصل إلى توضيح مفهوم منهج دراسة الحالة وأهميته وخطواته ومجالات تطبيقه مع تحليل أبرز مزاياه وحدوده البحثية.

1- مفهوم منهج دراسة الحالة

يقصد بمنهج دراسة الحالة الأسلوب العلمي الذي يهدف إلى دراسة وحدة معينة (فرد، أسرة، مؤسسة، مجتمع محلي...) دراسة تفصيلية معمقة لفهم خصائصها وسلوكها وتفاعلاتها في سياقها الخاص[1].

ويعد هذا المنهج نوعا من المنهج الوصفي التحليلي، إذ يعتمد على جمع بيانات دقيقة ومتكاملة حول الحالة قيد الدراسة باستخدام أدوات متعددة مثل المقابلات والملاحظة والوثائق.

ويرى "روبرت ين" أن دراسة الحالة "تمثل بحثا تجريبيا يسعى إلى فهم ظاهرة معاصرة في سياقها الواقعي، خاصة عندما تكون الحدود بين الظاهرة وسياقها غير واضحة تماما"[2].

وبذلك فإن منهج دراسة الحالة يُستخدم عندما تكون الظاهرة المدروسة معقدة ولا يمكن فصلها عن بيئتها الطبيعية.

2- خصائص منهج دراسة الحالة

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي. مرجع سابق. ص55.

[2].p88 Yin, Robert K. Case Study Research and Applications: Design and Methods. Sage Publications, 2018.

يتسم هذا المنهج بعدد من الخصائص التي تميزه عن غيره من المناهج من أبرزها:

التركيز على الحالة كوحدة متكاملة: لا تدرس الظواهر هنا من خلال عينات كبيرة، بل من خلال تحليل معمق لحالة واحدة تمثل نموذجا أو وضعا خاصا.

التكامل بين أساليب جمع البيانات: فهو يجمع بين المقابلات والملاحظات والوثائق والسجلات، مما يمنح الباحث رؤية متعددة الأبعاد.

الطابع الكيفي التفسيري: إذ يعتمد على الفهم العميق للظاهرة أكثر من الاعتماد على القياس الكمي أو الإحصائي.

المرونة المنهجية: حيث يتيح للباحث تعديل أدواته وفق تطور الحالة المدروسة وظروفها الواقعية.

الاستمرارية الزمنية: إذ غالبا ما تمتد دراسة الحالة على فترة زمنية طويلة لرصد التحولات والتطورات.

3- خطوات تطبيق منهج دراسة الحالة

تتضمن مراحل تطبيق هذا المنهج مجموعة من الخطوات المنهجية المتكاملة أهمها:

تحديد الحالة ومشكلتها: أي اختيار الظاهرة أو الوحدة التي تمثل اهتمام البحث وتحديد حدودها بوضوح.

تحديد أهداف الدراسة وأسئلتها: حتى تكون الدراسة موجهة ومركزة على جوانب محددة من الحالة.

جمع البيانات: باستخدام أدوات متنوعة مثل المقابلات الشخصية والملاحظة المباشرة وتحليل الوثائق والسجلات أو حتى الدراسات السابقة.

تحليل البيانات: بالاعتماد على التقنيات الكيفية كالتصنيف الموضوعي وتحليل المضمون والمقارنة الداخلية بين مكونات الحالة.

تفسير النتائج واستخلاص الدلالات: لفهم أسباب الظاهرة ونتائجها وتقديم تصور عام يمكن أن يفيد في حالات مشابهة.

صياغة التقرير النهائي: الذي يعرض فيه وصف الحالة وتحليلها ومخرجاتها العلمية في شكل منظم وواضح.

4- أهمية منهج دراسة الحالة

تكمن أهمية هذا المنهج في كونه يسمح بتحليل الظواهر المعقدة في عمقها الواقعي لا في سطحها الإحصائي فقط، فهو يساعد الباحث على:

- اكتشاف علاقات جديدة بين المتغيرات لا يمكن إدراكها بالأساليب الكمية.

- دراسة الحالات الفريدة أو النادرة التي يصعب تعميمها لكنها تكشف عن أنماط سلوكية مهمة.

- تطوير نظريات أو فرضيات جديدة من خلال الملاحظة الدقيقة والتفسير السياقي.

- فهم الظواهر في بيئتها الطبيعية دون فصلها عن السياق الاجتماعي والثقافي.

ولهذا فإن منهج دراسة الحالة يكتسب أهمية خاصة في البحوث التربوية والنفسية والإدارية والاجتماعية.

5- مجالات تطبيق منهج دراسة الحالة

يستخدم هذا المنهج في ميادين متعددة منها:

علم النفس: لدراسة حالات مرضية أو سلوكية خاصة (مثل دراسة حالة مريض يعاني من اضطراب نادر).

علم الاجتماع: لفهم بنية الأسرة أو الجماعة المحلية أو ظاهرة اجتماعية معينة.

التربية: لتحليل أداء مدرسة أو برنامج تعليمي معين.

الإدارة: لدراسة مؤسسة اقتصادية ناجحة أو متعثرة لفهم عوامل النجاح أو الفشل.

الأنثروبولوجيا: لدراسة جماعة بشرية محدودة في بيئتها الثقافية.

هذا التنوع يجعل منهج دراسة الحالة أداة علمية مرنة وقابلة للتطبيق في مختلف الحقول.

6- مزايا منهج دراسة الحالة

يمنح الباحث فهما معمقا للظاهرة من خلال تحليل متعدد الأبعاد.

يسمح باكتشاف أنماط جديدة من السلوك والعلاقات يصعب ملاحظتها في المناهج الأخرى.

يربط النظرية بالممارسة من خلال تحليل واقعي للحالات الملموسة.

يتيح إمكانية المقارنة بين الحالات لتعميم النتائج بشكل نسبي ومدروس.

7- حدود منهج دراسة الحالة وإشكالاته

رغم مزاياه يواجه هذا المنهج بعض القيود أهمها:

ضعف إمكانية التعميم بسبب التركيز على حالة واحدة أو عدد محدود من الحالات.

احتمال التحيز في جمع البيانات أو تفسيرها نظرا لتأثير الباحث على الحالة.

الاعتماد الكبير على مهارة الباحث وقدرته على الملاحظة والتحليل الموضوعي.

صعوبة تكرار الدراسة بنفس الشروط نظرا لخصوصية كل حالة وسياقها.

ومع ذلك فإن إدراك هذه الحدود يساعد الباحث على توظيف المنهج بفعالية مع اتخاذ احتياطات منهجية كالمقارنة والتحقق من المصداقية.

إن منهج دراسة الحالة يشكل أحد أكثر المناهج عمقا وثراء في مجال البحث العلمي لأنه يتيح فهما شاملا للظواهر في سياقها الواقعي[1].

فهو لا يهدف إلى التعميم الإحصائي بل إلى الفهم التفسيري والتحليلي الذي يمكن أن يسهم في بناء النظريات أو تطوير الممارسات العملية.

وفي ظل تعقد الظواهر الاجتماعية والنفسية المعاصرة يظل هذا المنهج من أكثر الأدوات البحثية قدرة على تقديم معرفة دقيقة وإنسانية حول الواقع المعيش.

إن القيمة الحقيقية لمنهج دراسة الحالة تكمن في أنه يجعل الباحث يعيش الظاهرة ويفهمها من الداخل لا يراقبها من الخارج فحسب.

[1] كرم حلمي فرحات، مناهج البحث العلمي وأساليبه في علم النفس والتربية، القاهرة، دار الفكر، 2019. ص77.

الفصل الحادي عشر: منهج تحليل المحتوى

يعد منهج تحليل المحتوى من المناهج الحديثة في البحث العلمي، وقد برزت أهميته مع تطور وسائل الاتصال وتعدد أشكال النصوص والخطابات الإعلامية والثقافية.

فهو منهج يهدف إلى دراسة مضمون الرسائل الاتصالية بشكل منهجي وموضوعي وكمّي أو كيفي، للكشف عن معانيها واتجاهاتها ودلالاتها الظاهرة والمضمرة.

ويستخدم هذا المنهج في مجالات متعددة مثل الإعلام وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية والتربية، لتحليل النصوص المكتوبة والمسموعة والمرئية.

يهدف محتوى هذا الفصل إلى توضيح مفهوم منهج تحليل المحتوى وخطواته وأنواعه وأهميته العلمية، مع الإشارة إلى أبرز الإشكالات التي تواجه الباحث عند تطبيقه.

1- مفهوم منهج تحليل المحتوى

يعرف تحليل المحتوى بأنه منهج بحث علمي يهدف إلى دراسة مضمون الرسائل الإعلامية أو الاتصالية بطريقة منظمة وموضوعية لتفسيرها واستخلاص دلالاتها ومعانيها[1].

ويعرفه "برلسون" (Berelson, 1952) بأنه" أسلوب بحث يستخدم لوصف المضمون الظاهر للاتصال بطريقة موضوعية ومنظمة وكمية"[2].

أما في صورته الحديثة فقد تطور المفهوم ليشمل تحليل المعاني الضمنية والاتجاهات الفكرية، والرموز الثقافية التي تحملها النصوص والخطابات.

وبذلك فإن منهج تحليل المحتوى لا يقتصر على مجرد الإحصاء الكمي للكلمات بل يمتد إلى تحليل السياق والمعاني والرموز.

2- خصائص منهج تحليل المحتوى

يتسم منهج تحليل المحتوى بعدد من الخصائص العلمية التي تميزه منها:

المنهجية والتنظيم: يقوم على خطوات محددة لجمع البيانات وترميزها وتحليلها.

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي. مرجع سابق، ص58 .

[2] Berelson, Bernard. Content Analysis in Communication Research. Free Press, 1952.p88

الموضوعية: يعتمد على معايير ثابتة للتحليل تضمن الابتعاد عن التحيز الشخصي.

الشمول: يمكن تطبيقه على أنواع متعددة من المواد مثل المقالات الإعلانات المناهج النصوص الأدبية أو المقاطع المرئية.

المرونة: إذ يمكن أن يكون كميا أو كيفيا أو يجمع بينهما.

التحليل المزدوج (الظاهر والضمني): فهو لا يقتصر على ما يقال فقط بل يحلل ما يفهم ضمنا من الخطاب أو النص[1].

3- أنواع تحليل المحتوى

يتنوع تحليل المحتوى وفق أهداف البحث وطبيعة المادة المدروسة ومن أبرز أنواعه[2]:

التحليل الكمي: يعتمد على حساب تكرارات الكلمات أو المفاهيم أو الرموز بهدف الكشف عن الاتجاهات السائدة في النص.

التحليل الكيفي: يركز على تفسير المعاني والدلالات والمضامين الفكرية والثقافية في النصوص.

التحليل البنيوي: يهتم بالكشف عن العلاقات الداخلية بين عناصر الخطاب.

التحليل السيميائي: يقوم على دراسة الرموز والعلامات والإشارات التي يحملها النص.

التحليل المقارن: يستخدم لمقارنة مضامين نصوص أو خطابات مختلفة حول موضوع واحد.

هذا التنوع في الأنواع يجعل منهج تحليل المحتوى أداة مرنة يمكن تكييفها بحسب هدف الدراسة.

4- خطوات تطبيق منهج تحليل المحتوى

يمر الباحث بعدة مراحل أثناء تطبيق هذا المنهج أبرزها[3]:

تحديد مشكلة البحث وأهدافه: أي تحديد ما يريد الباحث معرفته من خلال تحليل النصوص أو المواد الاتصالية.

اختيار وحدة التحليل: وهي العنصر الذي يبنى عليه التحليل مثل الكلمة، الجملة، الفكرة، الموضوع، أو الشخصية.

تحديد الفئة التحليلية (وحدات الترميز): أي تصنيف عناصر المحتوى في فئات ذات معنى تسهل عملية التحليل.

اختيار عينة المحتوى: تحديد النصوص أو الوثائق أو المواد الإعلامية التي ستخضع للتحليل.

ترميز البيانات: تحويل المحتوى إلى رموز أو أرقام أو تصنيفات تسهل عملية التحليل الإحصائي أو التفسيري.

---

[1] عبد الغني بسيوني، تحليل المضمون في البحوث الإعلامية، مرجع سابق، ص .66.

[2] محمد الجوهري، مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق. ص .65 .

[3] عبد الغني بسيوني، المرجع السابق. ص88.

تحليل النتائج وتفسيرها: الكشف عن المعاني والاتجاهات والدلالات التي تعبر عنها النصوص المدروسة.

عرض النتائج في تقرير علمي: يتضمن الجداول أو النسب أو التفسيرات النظرية وفقا لطبيعة الدراسة.

5- أهمية منهج تحليل المحتوى

تنبع أهمية هذا المنهج من كونه يجمع بين الدقة العلمية والقدرة التفسيرية في دراسة النصوص والرسائل، فهو يمكن الباحث من:

قياس اتجاهات الرأي العام ووسائل الإعلام حول قضايا معينة.

تحليل الخطاب السياسي أو التربوي أو الديني للكشف عن القيم والاتجاهات.

تقييم المناهج الدراسية أو الكتب أو المواد الإعلامية من حيث محتواها القيمي والثقافي.

دراسة أنماط التمثلات الاجتماعية والصور النمطية في وسائل الإعلام.

كما يسهم في بناء نظريات حول الاتصال والتأثير الاجتماعي من خلال تحليل مضمون الرسائل المتبادلة داخل المجتمع.

6- مزايا منهج تحليل المحتوى

يتميز بأنه منهج علمي منظم وموضوعي يسهل تكراره والتحقق من نتائجه.

يسمح بدراسة كم كبير من البيانات دون الحاجة للتفاعل المباشر مع الأفراد.

قابل للتطبيق في مختلف المجالات مثل الإعلام والتعليم والسياسة وعلم النفس وغيرها.

يمكن أن يستخدم في البحوث الكيفية والكمية معا مما يمنحه طابعا تكامليا[1].

يساعد في تتبع التغيرات الاجتماعية والثقافية عبر تحليل المحتوى الزمني للوثائق أو وسائل الإعلام.

7- حدود وإشكالات منهج تحليل المحتوى

رغم مزاياه المتعددة، يواجه هذا المنهج بعض الصعوبات منها[2]:

التحيز في عملية الترميز إذا لم تستخدم فئات واضحة ومحددة.

إغفال السياق الاجتماعي أو الثقافي إذا اقتصر التحليل على الجانب الكمي فقط.

صعوبة تفسير المعاني الضمنية بدقة بسبب اختلاف التأويلات.

الاعتماد على مهارة الباحث في قراءة النصوص وفهمها موضوعيا.

---

[1] عبد الغني بسيوني، المرجع السابق، ص26.

[2] أحمد بدر، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص .35.

لكن يمكن الحد من هذه الإشكالات من خلال الجمع بين التحليل الكمي والكيفي وتدريب المحللين واستخدام أدوات إلكترونية دقيقة لتحليل النصوص.

يعد منهج تحليل المحتوى من أكثر المناهج البحثية فاعلية في دراسة النصوص والخطابات والرسائل الإعلامية لأنه يجمع بين الدقة الكمية والعمق الكيفي في آن واحد.

فهو لا يكتفي بوصف الظواهر الاتصالية، بل يسعى إلى تفسيرها وفهمها ضمن سياقها الثقافي والاجتماعي.

وفي ظل انفجار المعلومات وتطور وسائل الإعلام أصبح تحليل المحتوى أداة أساسية في فهم كيفية بناء المعاني وتشكيل الوعي الجمعي.

إن القيمة العلمية لهذا المنهج تكمن في قدرته على تحويل المادة اللفظية أو الرمزية إلى بيانات علمية قابلة للتحليل مما يجعله جسرا بين النص والواقع.

الفصل الثاني عشر: المنهج الوصفي

يعد المنهج الوصفي أحد أكثر المناهج استخداما في العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظرا لقدرته على تحليل الظواهر كما هي في الواقع دون تدخل في متغيراتها.

فهو يسعى إلى وصف الظواهر وتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية دقيقة بهدف الوصول إلى فهم شامل لطبيعتها والعوامل المؤثرة فيها.

يستخدم المنهج الوصفي في مجالات متعددة مثل التربية وعلم النفس والاجتماع والإعلام والاقتصاد والإدارة، لما يتيحه من إمكانية دراسة الظواهر الاجتماعية كما تحدث في بيئتها الطبيعية.

في هذا الفصل سيتم توضيح مفهوم المنهج الوصفي وخصائصه وخطواته وأنواعه وأهميته، مع مناقشة أبرز الإشكالات التي تعترض استخدامه في البحوث العلمية.

1- مفهوم المنهج الوصفي

يقصد بالمنهج الوصفي الأسلوب العلمي الذي يعتمد على دراسة الظواهر كما هي في الواقع، ووصفها وصفا دقيقا وتحليلها لفهم طبيعتها وأسبابها واتجاهاتها.

ويعرفه "محمد الجوهري" بأنه "منهج يهدف إلى جمع بيانات واقعية عن ظاهرة محددة كما توجد في البيئة الاجتماعية أو الطبيعية وتحليلها بهدف الوصول إلى استنتاجات علمية دقيقة"[1].

أما "إسماعيل بدر" فيرى أنه "منهج يسعى إلى تصوير الظاهرة تصويرا كميا أو كيفيا للكشف عن العلاقات القائمة بين متغيراتها"[2].

وعليه فالمنهج الوصفي لا يكتفي بالوصف السطحي بل يتضمن تحليلا علميا وتفسيرا للعلاقات بين الظواهر.

2- خصائص المنهج الوصفي:

يتسم المنهج الوصفي بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره من المناهج العلمية أبرزها[3]:

- دراسة الظواهر كما هي دون تدخل الباحث في تعديلها أو التأثير عليها.
- التركيز على الواقع الميداني إذ يعتمد على الملاحظة والبيانات الميدانية المباشرة.

---

[1] محمد الجوهري، مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص .74.

[2] أحمد بدر، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص .78.

[3] زكريا الشربيني، المنهج الوصفي وأدواته في البحث العلمي، مرجع سابق، ص .88.

- الجمع بين الوصف الكيفي والكمي لتمكين الباحث من فهم شامل للظاهرة.
- التحليل الموضوعي للعلاقات بين المتغيرات دون إصدار أحكام مسبقة.
- الاعتماد على الأدوات العلمية مثل الاستبيانات، المقابلات، والملاحظات لجمع البيانات.

3- أنواع المنهج الوصفي:

يتفرع المنهج الوصفي إلى عدة أنواع بحسب هدف الدراسة وطبيعة الظاهرة، من أهمها[1]:

الدراسة المسحية (Survey Study): تستخدم لجمع بيانات من عدد كبير من الأفراد أو المؤسسات بغرض وصف ظاهرة عامة مثل الاتجاهات أو الآراء أو السلوكيات.

دراسة الحالة (Case Study): تركز على دراسة عميقة لحالة واحدة أو عدد محدود من الحالات لفهمها في سياقها الواقعي.

دراسة المقارنة الوصفية (Comparative Descriptive Study): تهدف إلى مقارنة ظاهرتين أو أكثر لتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

الدراسة الارتباطية (Correlational Study): تسعى إلى تحديد العلاقات بين متغيرين أو أكثر دون محاولة تفسير السببية.

الدراسة التطويرية (Developmental Study): تتابع الظاهرة عبر الزمن للكشف عن تطورها وتغيرها.

هذا التنوع يجعل المنهج الوصفي واسع الاستخدام في مختلف مجالات البحث العلمي.

4- خطوات تطبيق المنهج الوصفي:

تمر عملية تطبيق المنهج الوصفي بعدة مراحل منهجية مترابطة[2]:

تحديد المشكلة البحثية وصياغة أسئلتها: أي تحديد الظاهرة المراد دراستها والأهداف المرجوة من تحليلها.

تحديد مجتمع الدراسة وعينتها: من خلال اختيار الفئة التي تمثل الظاهرة المراد تحليلها بدقة.

اختيار أدوات جمع البيانات: مثل الاستبيان والمقابلة والملاحظة أو تحليل الوثائق.

جمع البيانات ميدانيا: بطريقة علمية تضمن المصداقية والموضوعية.

تنظيم البيانات وتحليلها: باستخدام الأساليب الإحصائية أو التحليل الكيفي لتفسير النتائج.

عرض النتائج وتفسيرها: بشكل علمي يبرز الاتجاهات والعلاقات والأنماط التي تم الكشف عنها.

5- أهمية المنهج الوصفي:

[1] Creswell, John W. Educational Research: Planning, Conducting, and Evaluating Quantitative and Qualitative Research. Pearson, 2018.p58.
[2] Cohen, Louis, Manion, Lawrence, & Morrison, Keith. Research Methods in Education. Routledge, 2018.p77.

تنبع أهمية المنهج الوصفي من كونه الأساس الذي تقوم عليه معظم الدراسات الميدانية في العلوم الاجتماعية والإنسانية لأنه يسمح بـ[1]:

- فهم الظواهر الواقعية كما تحدث فعليا في المجتمع.
- تقديم بيانات دقيقة تساعد على اتخاذ قرارات علمية أو إدارية أو تربوية.
-تحليل العلاقات بين المتغيرات الاجتماعية والنفسية والتربوية.
- تكوين فرضيات علمية جديدة تمهّد لاستخدام مناهج أكثر تفسيرية كالتجريبي.
- التخطيط للسياسات العامة بناء على معطيات واقعية وميدانية.

لذلك فالمنهج الوصفي مرحلة أساسية في بناء المعرفة العلمية القائمة على الملاحظة والتحليل الواقعي.

6- مزايا المنهج الوصفي:

- يقدم صورة واقعية للظواهر الاجتماعية كما هي في البيئة الطبيعية.
- يسمح بجمع بيانات كمية وكيفية قابلة للتحليل المقارن.
- مرن وقابل للتطبيق في مختلف المجالات البحثية.
- يساعد على بناء الفرضيات والنظريات المستقبلية.
- يعتمد على أدوات دقيقة وموضوعية تعزز مصداقية النتائج.

7- حدود وإشكالات المنهج الوصفي:

على الرغم من أهميته يواجه المنهج الوصفي بعض القيود من أبرزها[2]:

- صعوبة تحقيق الحياد التام لأن الباحث قد يتأثر بتصوراته المسبقة.
- احتمال التحيز في الاستجابات إذا كانت الأداة غير محكمة أو غير مناسبة.
- عدم القدرة على إثبات السببية إذ يقتصر على الوصف والتحليل دون التجريب.
- الحاجة إلى عينة ممثلة ومحددة بدقة حتى تكون النتائج قابلة للتعميم.

ومع ذلك يمكن التخفيف من هذه الإشكالات من خلال تصميم أدوات دقيقة، والتحقق من صدقها وثباتها، وجمع البيانات في ظروف موضوعية.

إن المنهج الوصفي يشكل ركيزة أساسية في البحوث الإنسانية والاجتماعية، لأنه يمكن الباحث من دراسة الواقع كما هو وتحليل الظواهر في سياقها الطبيعي.

فهو لا يقتصر على الوصف السطحي بل يسعى إلى تفسير العلاقات بين المتغيرات واستنتاج الاتجاهات العامة التي تحكم الظاهرة.

---

[1] زكريا الشربيني. المنهج الوصفي وأدواته في البحث العلمي، مرجع سابق، ص.99.

[2] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، مرجع سابق. ص .85.

وبفضل مرونته وإمكانية دمجه مع مناهج أخرى مثل المقارن أو دراسة الحالة، يعد من أكثر المناهج ثراء وفعالية في إنتاج معرفة علمية دقيقة.

إن القيمة العلمية للمنهج الوصفي تكمن في قدرته على الجمع بين الملاحظة الدقيقة والتحليل الموضوعي، مما يجعله أداة ضرورية لكل باحث يسعى إلى فهم الظواهر الإنسانية في تعقيدها وتنوعها.

الفصل الثالث عشر: المنهج التجريبي

يعد المنهج التجريبي من أكثر المناهج العلمية دقّة وصرامة في البحث العلمي، إذ يقوم على الملاحظة المضبوطة والتحكم في المتغيرات بغية الكشف عن العلاقات السببية بين الظواهر.

لقد كان هذا المنهج أحد الركائز الأساسية لتطور العلوم الطبيعية، ثم انتقل تدريجيا إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية مع تكييف أدواته ومفاهيمه مع خصوصية الظواهر البشرية.

فهو يعتمد على التجربة باعتبارها وسيلة للتحقق من الفرضيات وإثبات العلاقات بين الأسباب والنتائج.

يهدف هذا التحليل إلى توضيح مفهوم المنهج التجريبي وخصائصه وأنواعه وخطوات تطبيقه وأهميته العلمية، مع تحليل لأبرز الإشكالات التي تواجه الباحثين عند استخدامه في ميادين مختلفة.

1- مفهوم المنهج التجريبي

يعرف المنهج التجريبي بأنه الأسلوب العلمي الذي يقوم على ملاحظة ظاهرة معينة في ظل ظروف محددة، ثم إدخال تعديل أو ضبط في بعض المتغيرات لمعرفة أثر ذلك في الظاهرة المدروسة.

وقد عرفه "محمد عبد الرحمن" بأنه: "منهج علمي يعتمد على التجربة المنظمة والتحكم في العوامل المؤثرة بغية تحديد العلاقة السببية بين المتغيرات"[1].

أما "Ker linger" فيراه: "بحث يتم فيه معالجة متغير واحد على الأقل لمعرفة تأثيره على متغير آخر في ظل ضبط العوامل الدخيلة"[2].

إذن جوهر المنهج التجريبي هو التحكم والتغيير والملاحظة الدقيقة للنتائج، وهو ما يجعله أقرب المناهج إلى الطابع العلمي الموضوعي.

2- خصائص المنهج التجريبي

يتسم المنهج التجريبي بعدد من الخصائص التي تميزه عن غيره من المناهج أبرزها[3]:

التحكم في المتغيرات: أي ضبط جميع العوامل المحتملة باستثناء المتغير المراد دراسته.

---

[1] محمد عبد الرحمن ،البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق. ص84.

[2]. Kerlinger, Fred N. Foundations of Behavioral Research. Holt, Rinehart and Winston, 1986

[3] Campbell, D. T., & Stanley, J. C. Experimental and Quasi-Experimental Designs for Research. Houghton Mifflin, 1963 .p123.

التجريب تحت شروط محددة: بحيث يمكن تكرار التجربة والتحقق من نتائجها.

القياس الدقيق للمتغيرات: باستخدام أدوات كمية وإحصائية علمية.

إمكانية التكرار: وهي سمة تضمن موضوعية النتائج وقابليتها للتحقق من طرف باحثين آخرين.

القدرة على إثبات العلاقة السببية: بخلاف المناهج الوصفية التي تكتفي بالارتباط دون السببية.

3- أنواع المنهج التجريبي

تتعدد أنواع المنهج التجريبي وفقا لطبيعة الضبط التجريبي ومستوى التحكم وأهمها:

التجربة الحقيقية (True Experiment):

يتم فيها التحكم الكامل في المتغيرات وتوزيع المجموعات بشكل عشوائي، وهي الأدق من حيث النتائج.

شبه التجريب (Quasi-Experiment):

يستخدم عندما لا يمكن تحقيق العشوائية التامة مثل الدراسات التربوية أو الاجتماعية في بيئات واقعية.

التجربة المخبرية (Laboratory Experiment):

تجرى في بيئة مصطنعة أو معملية تتيح التحكم التام في المتغيرات.

التجربة الميدانية (Field Experiment):

تنفذ في بيئة طبيعية مثل المدارس أو المؤسسات الاجتماعية، وتتميز بواقعية أكبر وإن كانت أقل ضبطا[1].

4- خطوات تطبيق المنهج التجريبي

يتطلب المنهج التجريبي اتباع مراحل منهجية دقيقة تتمثل في:

تحديد المشكلة البحثية وصياغة الفرضيات:

صياغة فرضية تتضمن علاقة سببية محتملة بين متغيرين.

تحديد المتغيرات:

المتغير المستقل: الذي يقوم الباحث بتغييره.

المتغير التابع: الذي يقاس لمعرفة أثر المتغير المستقل عليه.

المتغيرات الضابطة: التي تحيد لتجنب تأثيرها.

اختيار العينة وتقسيمها إلى مجموعات:

غالبا تقسم إلى مجموعة تجريبية تخضع للمعالجة ومجموعة ضابطة لا تتعرض لها.

[1] كمال أبو ديب، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، عمان، دار الحامد للنشر، 2021. ص87.

تنفيذ التجربة:

تطبيق المعالجة التجريبية على المجموعة التجريبية وفق خطة محددة.

جمع البيانات وتحليلها:

باستخدام أساليب إحصائية مناسبة للتحقق من صحة الفرضيات.

تفسير النتائج واستخلاص الاستنتاجات:

لتحديد مدى صدق الفرضيات والآثار المترتبة على التغيرات التي تم إدخالها[1].

5- أهمية المنهج التجريبي

تنبع أهمية المنهج التجريبي من كونه المنهج الأكثر قدرة على تفسير الظواهر وإثبات العلاقات السببية بينها، ومن أبرز أوجه أهميته[2]:

- تحقيق الدقة العلمية والموضوعية في اختبار الفرضيات.
- التحكم في العوامل المؤثرة مما يضمن صدق النتائج.
- إمكانية التنبؤ بالمستقبل بناءً على العلاقات السببية المكتشفة.
- تطوير النظريات العلمية وتطبيقها في مجالات متنوعة كالتربية علم النفس الطب الاقتصاد والاجتماع.
- تعزيز المعرفة التطبيقية التي تربط النظرية بالممارسة.

6- مزايا المنهج التجريبي

- دقة الملاحظة والتحكم في الظروف.
- إمكانية التكرار والتحقق من النتائج.
- وضوح العلاقة بين السبب والنتيجة.
- إمكانية تطبيقه في مجالات عملية وتجريبية.

7- حدود وإشكالات المنهج التجريبي

رغم قوته العلمية، يواجه المنهج التجريبي عدة إشكالات خاصة في العلوم الإنسانية منها[3]:

- صعوبة التحكم الكامل في المتغيرات البشرية بسبب تأثير العوامل النفسية والاجتماعية.
- إشكاليات أخلاقية تتعلق بالتعامل مع الأفراد كمشاركين في التجربة.
- البيئة المصطنعة للتجربة قد تقلل من صدق النتائج الخارجي.
- التكلفة والوقت اللازمان لتطبيق التجربة بدقة عالية.

---

[1] أحمد بدر، المنهج التجريبي وأدواته في البحث العلمي، مرجع سابق. ص89.

[2] المرجع نفسه، ص86.

[3] المرجع نفسه، ص58.

- إمكانية تعميم النتائج محدودة إذا كانت العينة صغيرة أو غير ممثلة.

ولذلك يوصى بدمج المنهج التجريبي مع مناهج وصفية أو نوعية لتوسيع نطاق الفهم وتحقيق التوازن بين الدقة والواقعية.

يعد المنهج التجريبي أرقى مراحل التطور المنهجي في البحث العلمي، لأنه يمثل الانتقال من الملاحظة السطحية إلى التفسير السببي المنهجي.

إن أهميته لا تقتصر على العلوم الطبيعية بل تمتد إلى ميادين التربية وعلم النفس والاجتماع، حيث أتاح فهما أعمق للسلوك الإنساني في ضوء متغيراته المختلفة.

ورغم التحديات المرتبطة بتطبيقه في المجالات الإنسانية، فإن المنهج التجريبي يبقى أداة لا غنى عنها للتحقق العلمي الموضوعي من الفرضيات وإنتاج معرفة يمكن الوثوق بها وتطبيقها في الواقع.

الفصل الرابع عشر: المنهج الكمي في العلوم الاجتماعية

يمثل المنهج الكمي أحد أهم المناهج البحثية في العلوم الاجتماعية لما يتمتع به من دقة علمية وإمكانية القياس الإحصائي للظواهر الإنسانية والاجتماعية.

فهو يهدف إلى تحويل الظواهر الاجتماعية إلى بيانات رقمية قابلة للقياس والتحليل الإحصائي، مما يسمح للباحث بفهم العلاقات بين المتغيرات واستخلاص القوانين العامة التي تحكمها.

لقد كان المنهج الكمي نتيجة لتأثر العلوم الاجتماعية بالمنهج التجريبي في العلوم الطبيعية ومحاولة لتأسيس علم اجتماع وعلوم إنسانية ذات طابع علمي موضوعي.

يهدف محتوى هذا الفصل إلى توضيح مفهوم المنهج الكمي وخصائصه ومجالات استخدامه وأدواته وأبرز مزاياه وحدوده، مع الإشارة إلى التطورات الحديثة في تطبيقه في البحوث الاجتماعية.

1- مفهوم المنهج الكمي

المنهج الكمي هو أسلوب بحثي يعتمد على جمع وتحليل بيانات رقمية باستخدام الأدوات الإحصائية، بغرض تفسير الظواهر الاجتماعية بصورة موضوعية وقابلة للقياس.

ويعرفه "محمد الجوهري" بأنه: "منهج يعتمد على تحويل الظواهر الاجتماعية إلى مؤشرات كمية رقمية تخضع للقياس والتحليل الإحصائي"[1].

أما "Creswell" فيعرفه بأنه: "المنهج الذي يقوم على اختبار الفرضيات باستخدام البيانات الرقمية وتحليلها إحصائيا لتحديد العلاقات بين المتغيرات"[2].

ويؤكد" Neuma "أن المنهج الكمي "يركز على النماذج والاتجاهات العامة والقوانين أكثر من الحالات الفردية الخاصة"[3].

وبذلك فإن المنهج الكمي يسعى إلى التعميم والدقة والموضوعية من خلال الأرقام والمعالجات الإحصائية الدقيقة.

2- خصائص المنهج الكمي

يتسم المنهج الكمي بعدة خصائص منهجية أساسية من أهمها[1]:

[1] محمد الجوهري، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق. ص55.

[2] Creswell, John W. Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches. SAGE Publications, 2018.p88

[3]- Neuman, W. Lawrence. Social Research Methods: Qualitative and Quantitative Approaches. Pearson, 2014.p75

الموضوعية والحياد: إذ يسعى إلى تقليل تأثير ذاتية الباحث على النتائج.

إمكانية القياس: يتم التعبير عن الظواهر الاجتماعية في شكل متغيرات قابلة للقياس العددي.

استخدام الأدوات الإحصائية: لتحليل العلاقات بين المتغيرات واختبار الفرضيات.

الاعتماد على العينات الكبيرة: التي تمكن من تعميم النتائج على المجتمع الأصلي.

المنهجية المعيارية: إذ يعتمد على خطوات منهجية صارمة، بدءا من صياغة الفرضيات إلى التفسير الإحصائي للنتائج.

3- خطوات تطبيق المنهج الكمي

يخضع المنهج الكمي لسلسلة من المراحل المتتابعة والمترابطة وهي:

تحديد المشكلة وصياغة الفرضيات:

تبدأ العملية بتحديد مشكلة قابلة للقياس وصياغة فرضيات يمكن اختبارها.

تحديد المتغيرات.

المتغير المستقل (السبب).

المتغير التابع (النتيجة).

المتغيرات الوسيطة أو الضابطة (العوامل المؤثرة).

اختيار العينة بحيث تكون ممثلة إحصائيا للمجتمع المدروس.

جمع البيانات باستخدام أدوات كمية مثل الاستبيان والاختبارات المعيارية أو قواعد البيانات الإحصائية.

تحليل البيانات عبر برامج التحليل الإحصائي (مثل SPSS ، أو Excel)، واستخدام أساليب كالمتوسطات والانحراف المعياري والانحدار والتحليل العاملي.

تفسير النتائج واستخلاص الاستنتاجات من خلال مقارنة النتائج بالفرضيات المبدئية وتحديد العلاقات السببية أو الارتباطية.

4- أدوات المنهج الكمي

تعتمد البحوث الكمية على أدوات علمية دقيقة لجمع البيانات أبرزها[2]:

الاستبيان (Questionnaire): الأداة الأكثر شيوعا في الدراسات الميدانية.

الاختبارات المعيارية: خصوصا في علم النفس والتربية لقياس القدرات والاتجاهات.

الملاحظة المنظمة: التي تسجل عبر مقاييس كمية محددة مسبقا.

---

[1] عبد الكريم غلاب، مناهج البحث الاجتماعي بين الكمي والكيفي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2012،ص78.

[2] فتحي الزغبي، مرجع سابق، ص87.

تحليل الوثائق الإحصائية: مثل التقارير الرسمية والبيانات الحكومية.

القياس المخبري: خصوصا في الدراسات السلوكية أو النفسية.

5- أهمية المنهج الكمي في العلوم الاجتماعية

يعد المنهج الكمي من أكثر المناهج العلمية قدرة على تحقيق الدقة والموضوعية وله أهمية كبيرة في البحوث الاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية ومن أبرزها[1]:

- إمكانية التعميم، لأن نتائجه تستند إلى عينات ممثّلة وتحليل إحصائي علمي.
- الكشف عن العلاقات السببية والارتباطية بين المتغيرات.
- المساعدة في التنبؤ باتجاهات الظواهر الاجتماعية المستقبلية.
- توفير بيانات كمية دقيقة لصناع القرار والسياسات العامة.
- إمكانية المقارنة بين المجتمعات أو الفترات الزمنية المختلفة.

6- مزايا المنهج الكمي

- يمنح البحث دقة وصرامة علمية عالية.
- يسهّل اختبار الفرضيات والتحقق من صحتها.
- يعتمد على بيانات موضوعية قابلة للتحليل الإحصائي.
- قابل للتكرار والتحقق من النتائج.
- يسمح بالتنبؤ العلمي بناءً على العلاقات الإحصائية المكتشفة.

7- حدود وإشكالات المنهج الكمي

على الرغم من أهميته يواجه المنهج الكمي عدة قيود عند تطبيقه في العلوم الإنسانية والاجتماعية من أبرزها:

- تجريد الظواهر الإنسانية من أبعادها الذاتية والمعنوية مما قد يؤدي إلى تبسيط الواقع.
- صعوبة قياس بعض الظواهر المعقدة مثل القيم والمشاعر والانتماءات.
- احتمال تحيّز الأداة أو العينة مما يؤثر على صدق النتائج.
- تجاهل البعد الكيفي للسلوك الإنساني الذي لا يمكن التعبير عنه بالأرقام فقط.
- اعتماده الكبير على الإحصاء مما قد يحجب التفسير الفلسفي أو الاجتماعي الأعمق للظاهرة.

ولهذا السبب يتجه العديد من الباحثين المعاصرين إلى الدمج بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في إطار ما يعرف بـ البحوث المختلطة (Mixed Methods) للحصول على فهم شامل للظواهر الاجتماعية.

[1] فتحي الزغبي، المرجع السابق، ص87.

إن المنهج الكمي يعد حجر الأساس في بناء البحث العلمي الحديث، إذ أرسى قواعد القياس والدقة والموضوعية في دراسة الظواهر الاجتماعية[1].

ورغم الانتقادات التي وجهت إليه باعتباره يهمل الجانب الإنساني والذاتي، فإنه لا يزال المنهج الأكثر قدرة على اختبار الفرضيات وتقديم نتائج قابلة للتعميم والتحقق[2].

وفي ظل التطورات الراهنة في تقنيات التحليل الإحصائي والذكاء الاصطناعي، يُتوقع أن يزداد المنهج الكمي حضورًا في البحوث الاجتماعية المستقبلية، خاصة عند دمجه بالمناهج الكيفية والنظرية في مقاربات متعددة الأبعاد.

[1] عبد الله الغامدي، مرجع سابق. ص.56.

[2] كمال أبو ديب، مرجع سابق. ص.86.

الفصل الخامس عشر: المنهج الكيفي في العلوم الاجتماعية

يعد المنهج الكيفي من أهم المناهج الحديثة في العلوم الاجتماعية، إذ يمثل اتجاها مغايرا للمنهج الكمي في دراسة الظواهر الإنسانية.

فبينما يركز المنهج الكمي على الأرقام والإحصاءات، يهتم المنهج الكيفي بـ الفهم العميق للظواهر من منظور الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم.

وقد برز هذا المنهج كرد على نقص التفسير الإنساني في البحوث الكمية ومحاولة لإعادة الاعتبار للبعد الذاتي والمعياري في دراسة الإنسان والمجتمع.

في هذا الفصل سيتم عرض مفهوم المنهج الكيفي وأهم خصائصه ومجالات استخدامه وأدواته، مع تحليل لمزاياه وحدوده وإبراز مكانته في البحوث الاجتماعية المعاصرة.

1- مفهوم المنهج الكيفي:

المنهج الكيفي هو أسلوب بحثي يهدف إلى فهم الظواهر الاجتماعية من خلال تحليل معانيها وسياقاتها ومضامينها العميقة، دون الاعتماد على القياس الكمي.

يعرفه "محمد الجوهري" بأنه: "منهج يسعى إلى دراسة الظواهر كما يراها الفاعلون الاجتماعيون أنفسهم، من خلال التفاعل المباشر والملاحظة المتعمقة للواقع الاجتماعي"[1].

ويقول "Denzin & Lincoln" إن المنهج الكيفي هو "بحث يفسر الظواهر في سياقاتها الطبيعية، محاولا فهم المعاني التي يعطيها الناس لتجاربهم الاجتماعية"[2].

بينما يرى "Creswell" أنه "عملية بحثية تعتمد على جمع البيانات النوعية –كالكلمات والصور والتجارب-لتحليل الظاهرة من الداخل، لا من الخارج"[3].

إذن يركز المنهج الكيفي على الفهم والتفسير والمعنى أكثر من القياس، ويتعامل مع الواقع ككل مركب ومتغير.

2- خصائص المنهج الكيفي:

يتسم المنهج الكيفي بعدد من الخصائص المميزة أهمها[1]:

---

[1] محمد الجوهري، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية. القاهرة، مرجع سابق. ص.86 .

[2] Denzin, Norman K., & Lincoln, Yvonna S. The SAGE Handbook of Qualitative Research. SAGE Publications, 2018.p78

[3] Creswell, John W. Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches. SAGE Publications, 2014.p45

- التركيز على الفهم العميق للظاهرة بدلا من التعميم الإحصائي.
- الاهتمام بالسياق الاجتماعي والثقافي للظاهرة المدروسة.
- المرونة المنهجية حيث لا يتقيد الباحث بخطوات جامدة أو أدوات محددة.
- التفاعل المباشر بين الباحث والمبحوثين وهو ما يعمّق الفهم.
- الاعتماد على البيانات اللفظية والنصية والصورية أكثر من الرقمية.
- التحليل الاستقرائي الذي ينطلق من الواقع لبناء الفرضيات وليس العكس.

هذه الخصائص تجعل المنهج الكيفي أكثر ملاءمة لدراسة القضايا الإنسانية المعقدة التي لا يمكن اختزالها في أرقام.

3- أنواع المناهج الكيفية:

تتعدد الأساليب التي تندرج ضمن المنهج الكيفي ومن أبرزها:

دراسة الحالة (Case Study):

تستخدم لدراسة حالة فردية أو جماعية بعمق داخل سياقها الطبيعي، لفهم ديناميكياتها الخاصة.

المنهج الإثنوغرافي (Ethnography):

يقوم على الملاحظة الميدانية والمشاركة داخل جماعة بشرية لفهم ثقافتها وأنماط حياتها من الداخل.

المنهج الظاهراتي (Phenomenology):

يركز على تجارب الأفراد كما يعيشونها بهدف الكشف عن المعاني الذاتية المرتبطة بها.

نظرية التأصيل (Grounded Theory):

تهدف إلى بناء نظرية منبثقة من البيانات الميدانية بدلا من اختبار نظرية جاهزة.

تحليل المضمون (Content Analysis):

يهتم بتحليل النصوص والرموز والخطابات الاجتماعية لاستكشاف معانيها الضمنية.

المنهج السيميائي أو التأويلي:

يعنى بفهم الرموز والمعاني الكامنة في الخطابات الثقافية والاجتماعية[2].

4- خطوات تطبيق المنهج الكيفي

رغم مرونته يمر المنهج الكيفي بمراحل أساسية متتابعة:

---

[1] عبد العزيز السيد ،التحليل الكيفي للمضمون، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2017. ص.78.

[2] محمد شيا ،مناهج البحث الكيفي في علم الاجتماع المعاصر، بيروت: المركز العربي للأبحاث، 2019. ص.56.

تحديد المشكلة وسياقها العام:

أي صياغة سؤال بحثي مفتوح يساعد على استكشاف الظاهرة.

اختيار العينة: تختار بطريقة قصدية (وليس عشوائية)، لأنها تهدف إلى تمثيل التنوع في التجارب وليس الحجم الإحصائي.

جمع البيانات: من خلال أدوات مثل المقابلة المتعمقة أو الملاحظة الميدانية أو تحليل الوثائق أو التسجيلات السمعية والبصرية.

تحليل البيانات:

باستخدام الترميز (Coding)، والتصنيف الموضوعي والتحليل المقارن المستمر لاستخلاص الأنماط والدلالات[1].

تفسير النتائج:

بفهم الظاهرة ضمن سياقها الثقافي والاجتماعي وإبراز المعاني التي يعبر عنها المشاركون.

5- أهمية المنهج الكيفي في العلوم الاجتماعية

تنبع أهمية المنهج الكيفي من كونه يتيح للباحث[2]:

- فهم التجارب الإنسانية من الداخل لا من الخارج.
- تحليل المعاني والدلالات الرمزية للسلوك الإنساني.
- الكشف عن العوامل الثقافية والاجتماعية الكامنة وراء الظواهر.
- توليد نظريات جديدة بدلًا من الاقتصار على اختبار الفرضيات الجاهزة.
- إثراء المعرفة الاجتماعية ببيانات وصفية معمقة.

فهو إذن أداة تفسيرية وإنسانية بامتياز، توازن بين العلم والفهم وبين الملاحظة والتحليل التأويلي.

6- مزايا المنهج الكيفي

- عمق الفهم والتفسير بدلا من السطحية الإحصائية.
- المرونة العالية في التصميم والأدوات.
- إمكانية اكتشاف الظواهر الجديدة غير المعروفة.
- التركيز على المعاني الذاتية والثقافية للسلوك الإنساني.
- ملاءمته للبحوث الميدانية والمجتمعات المحلية.

7- حدود وإشكالات المنهج الكيفي

[1] عبد العزيز السيد، مرجع سابق، ص.63.

[2] عبد الله خضر، مرجع سابق ،ص .45.

على الرغم من قيمته المعرفية يواجه المنهج الكيفي بعض التحديات:

- صعوبة التعميم بسبب صغر العينات وعدم استخدام الإحصاء.
- إمكانية التحيز الذاتي للباحث أثناء التفاعل مع المشاركين.
- صعوبة إعادة التجربة أو تكرار النتائج.
- كثافة البيانات وصعوبة تحليلها كما ونوعا.
- الحاجة إلى مهارات تحليلية عالية وخبرة ميدانية دقيقة.

لكن رغم هذه التحديات يبقى المنهج الكيفي من أكثر المناهج ملاءمة لفهم الإنسان في بيئته الطبيعية وتفسير سلوكياته ومعانيه بعمق وواقعية.

إن المنهج الكيفي يمثل ثورة معرفية في دراسة الظواهر الاجتماعية، لأنه أعاد للإنسان مكانته كمصدر للمعنى وليس كموضوع للقياس فقط[1].

لقد أسهم في تجديد منهجية العلوم الاجتماعية عبر الانتقال من النموذج التجريبي الصارم إلى نموذج الفهم والتأويل.

وفي ظل التحولات المعاصرة في مجالات الذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة، ما يزال المنهج الكيفي يحافظ على قيمته، إذ يذكر الباحث بأن الإنسان ليس رقما، بل كائنا ذا تجربة ومعنى.

إن تكامل المنهج الكيفي مع الكمي في إطار البحوث المختلطة بات ضرورة معرفية لفهم الظواهر الاجتماعية في تعقيدها وشمولها.

مقارنة بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي:

المجال	المنهج الكمي	المنهج الكيفي
التعريف	يعتمد على جمع وتحليل البيانات الرقمية القابلة للقياس بهدف تحديد الأنماط والعلاقات الإحصائية.	يعتمد على جمع وتحليل البيانات الوصفية لفهم الظواهر في سياقها الطبيعي وتفسير المعاني والدلالات.
طبيعة البيانات	رقمية (إحصاءات، نسب، مقاييس، درجات، معدلات...).	وصفية (مقابلات، ملاحظات، نصوص، صور، وثائق...).
الهدف الأساسي	اختبار الفرضيات والتحقق من العلاقات بين المتغيرات.	فهم الظاهرة بعمق واستكشاف معانيها وتجارب الأفراد المتعلقة بها.
أساليب جمع البيانات	الاستبيانات، الاختبارات، المقاييس، التجارب، تحليل السجلات الرقمية.	المقابلات المفتوحة، الملاحظة بالمشاركة، المجموعات البؤرية، تحليل الوثائق والنصوص.
أداة الباحث	الأدوات المعيارية المقننة	الباحث نفسه هو الأداة الرئيسة في

[1] عبد الكريم غلاب، مرجع سابق .ص.45.

	والإحصاء.	جمع البيانات وتحليلها.
طبيعة التحليل	احصائي كمي (تحليل وصفي، استدلالي، معامل الارتباط...).	حليل موضوعي أو تأويلي (تحليل مضمون، تحليل سردي، تحليل موضوعات).
نوع النتائج	نتائج عامة وقابلة للتعميم على المجتمع الأكبر	نتائج خاصة وسياقية لا تهدف بالضرورة إلى التعميم.
العينة	كبيرة وممثلة إحصائيا.	صغيرة ومقصودة (مختارة بناء على المعنى والتنوع).
دور الفرضيات	يبدأ بفرضيات محددة مسبقا يسعى لاختبارها.	قد لا يبدأ بفرضيات، بل بتساؤلات مفتوحة تتطور أثناء البحث.
الموضوعية والذاتية	يركز على الموضوعية والحياد والقياس الدقيق.	يعترف بدور الذاتية والتفاعل بين الباحث والمبحوثين.
أسلوب الكتابة والعرض	تقارير منظمة بالأرقام والجداول والرسوم البيانية.	سرد وصفي وتحليلي يعتمد على الاقتباسات والنصوص والأمثلة
مجالات الاستخدام	العلوم الطبيعية، التربية، علم النفس التجريبي، الاقتصاد، علم الاجتماع الكمي	علم الاجتماع الكيفي، الأنثروبولوجيا، الدراسات التربوية، الإعلام، علم النفس الإكلينيكي
المزايا	- دقة وموضوعية عالية. - إمكانية التعميم. - سهولة المقارنة بين المتغيرات.	- عمق الفهم والتفسير. - مرونة في الدراسة. - ملاءم للظواهر المعقدة والإنسانية.
الحدود أو العيوب	- تجاهل السياق الإنساني. - جمود الأداة وعدم مرونتها.	- جمود الأداة وعدم مرونتها. - صعوبة التعميم. - تأثر النتائج بخبرة الباحث وتفسيره الشخصي.

ورغم ذلك يبقى على الباحث أنه يستطيع أن يجمع بين المنهجين ، وهذا ما يسمى المنهج المختلط:

المنهج المختلط (Mixed Methods) :هو مقاربة بحثية تجمع بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي في إطار واحد، بهدف تحقيق تكامل معرفي يسمح بفهم الظواهر من منظورين متكاملين، القياس الموضوعي من جهة والتفسير العميق من جهة أخرى.

يستخدم هذا المنهج عندما تكون الأسئلة البحثية معقدة ومتعددة الأبعاد بحيث لا يمكن الإجابة عنها اعتمادا على منهج واحد، فهو يبدأ عادة إما بجمع بيانات كمية ثم تعميقها ببيانات كيفية أو العكس، أو بجمعهما في الوقت نفسه (تصميم متزامن).

يتيح المنهج المختلط التحقق المتبادل من النتائج (triangulation) ويسهم في تعزيز مصداقية البحث وثرائه، لأنه يجمع بين دقة الأرقام وعمق التفسير.

ورغم أنه يتطلب جهدا ووقتا أكبر ومهارة في إدارة الأدوات الإحصائية والنوعية معا، إلا أنه يعد من أكثر المناهج شمولا وواقعية في الدراسات التربوية والاجتماعية المعاصرة.

خاتمة

من خلال هذا الكتاب الذي تناولنا فيه أهم محاور مادة منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، تبين لنا أن البحث العلمي ليس مجرد خطوات تقنية أو إجراءات شكلية، بل هو منظومة فكرية ومعرفية متكاملة تهدف إلى بناء معرفة علمية دقيقة حول الظواهر الإنسانية والاجتماعية، فالمنهجية تمثل الإطار الذي ينظم عملية التفكير، ويضمن للباحث السير وفق منطق علمي موضوعي بعيد عن الانطباعات والأحكام المسبقة، ويمكن استخلاص مجموعة من النتائج الجوهرية التي تمثل خلاصة التجربة البحثية في هذا المجال.

1- أهم النتائج المستخلصة من دراسة منهجية البحث العلمي

يتبين أن كل منهج من مناهج البحث العلمي يعبر عن رؤية محددة للعالم ولطبيعة المعرفة، فالمنهج التاريخي يتيح فهم الظواهر في سياقها الزمني، والمنهج الوصفي يسعى إلى تصوير الواقع كما هو، والمنهج التجريبي يعمل على اختبار الفرضيات والتحقق منها، بينما تعنى المناهج الكمية والكيفية بالبعدين الإحصائي والتأويلي على التوالي هذه المناهج، رغم اختلافها تتكامل في خدمة غاية واحدة هي بناء معرفة علمية موضوعية ومفسرة للظواهر الاجتماعية، كما أن وضوح الخطوات المنهجية ودقة الإجراءات البحثية من أهم مقومات نجاح أي بحث علمي.

2- التكامل بين المناهج الكمية والكيفية

لقد أظهرت التجربة البحثية المعاصرة أن الفصل الصارم بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي لم يعد مجديا فالمقاربة الكمية تمنح البحث دقة في القياس والقدرة على التعميم، في حين توفر المقاربة الكيفية عمقا في الفهم والتحليل والتفسير، ومن ثم فإن التكامل بين المنهجين هو الطريق الأمثل نحو مقاربة شمولية للواقع الاجتماعي، تجمع بين الإحصاء والتأويل، بين التجريد النظري والمعاينة الميدانية، بما يثري نتائج البحث ويزيد من صدقه ومصداقيته.

3- آفاق تطوير البحث العلمي في العلوم الاجتماعية

يواجه البحث في العلوم الاجتماعية تحديات متعددة تتصل بخصوصية الظاهرة الإنسانية، وتغير السياقات الثقافية، وتسارع التحولات الرقمية والتكنولوجية، لذلك فإن تطوير البحث العلمي يقتضي:

تحديث أدوات البحث وأساليبه بما يتلاءم مع التطورات الرقمية (التحليل الرقمي للبيانات، الذكاء الاصطناعي، تحليل الشبكات الاجتماعية...).

تعزيز البحوث متعددة التخصصات التي تربط بين الفلسفة وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد وعلم النفس والسياسة....

تشجيع البحوث الميدانية التي تنطلق من قضايا المجتمع المحلي وتقدم حلولا واقعية.

دعم النشر العلمي المفتوح وتبادل المعرفة بين الباحثين عالميا.

4- توصيات للباحثين والطلبة:

ضرورة الالتزام بالأخلاقيات العلمية من صدق وأمانة ودقّة في التوثيق والتحليل.

اختيار المنهج المناسب لطبيعة الموضوع والهدف البحثي، بدل الاعتماد على قوالب جاهزة.

الاهتمام بالمزج بين المناهج الكمية والكيفية للحصول على نتائج أكثر شمولا وعمقا.

تنمية مهارات التفكير النقدي والتحليل المنطقي والتعامل مع البيانات الرقمية.

الاستفادة من التجارب البحثية السابقة دون الوقوع في التكرار أو النقل الحرفي.

ختاما، يمكن القول أن المنهج العلمي هو القلب النابض للبحث الأكاديمي، وبدونه يفقد العلم معناه وغايته، ومن ثم فإن الرهان الحقيقي أمام الباحثين وطلبة العلوم الاجتماعية هو الوعي بالبعد الإنساني للبحث العلمي، وممارسته بوصفه أداة للفهم والإصلاح والتجديد في عالم سريع التحول.

كما أن تكوين الطالب الجامعي في هذه المادة يعد خطوة أساسية نحو بناء عقل علمي ناقد قادر على الملاحظة والتحليل والاستنتاج، بما يسهم في خدمة المجتمع وتطوير المعرفة الإنسانية عامة وفي واقعنا العربي خاصة.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

- إبراهيم قشار، قضايا المنهج في العلوم الاجتماعية: قراءة نقدية في الأسس والآفاق، دار المعرفة الجامعية، الجزائر، 2020.

- ابن الهيثم، كتاب المناظر، تحقيق عبد الحليم منتصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983.

- ابن سينا الشفاء: المنطق، تحقيق إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، القاهرة، 1983.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1990.

- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.

- أحمد بوزيان، فلسفة مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: رؤية نقدية، دار الإعصار العلمي، عمّان، 2019.

- إسماعيل مظهر، نيوتن والثورة العلمية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.

- أمل الزاوي، الثقافة والبنية النفسية: نحو علم اجتماع نفسي جديد، دار ابن النديم، الجزائر، 2024.

- أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1981.

- إيمانويل كانط، نقد العقل الخالص، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، 2007.

- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، 1967، ج2.

- برغوث سامية. مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية بين النظرية والتطبيق. دار المعرفة، الجزائر، 2022.

- بكار عبد الكريم. تكوين المفكر: خطوات عملية في بناء الفكر المنهجي، دار القلم، دمشق، 2016.

- بوزيان محمد. فلسفة مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربة نقدية، دار الإعصار العلمي، عمّان، 2019.

- البيطار، أحمد. المنهج التاريخي في العلوم الاجتماعية: المفهوم والوظيفة والتطبيقات. دار الفكر العربي، القاهرة، 2022.

- بيكون فرانسيس، الأورغانون الجديد، ترجمة زكي نجيب محمود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984.
- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، 2007.
- الجابري محمد عابد. تكوين العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996.
- الجابري محمد عابد. تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.
- جمال الدين الشيال، مصر القديمة: حضارة وعلم وفكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001.
- الحربي محمد.. البحث العلمي في العلوم الإنسانية: من التصميم إلى التحليل. جدة: دار النشر الأكاديمي، 2021.
- الحربي ناصر. مدخل إلى فلسفة العلم ومناهجه، دار وائل للنشر، عمّان، 2018.
- حسن عبد الباسط. منهجية البحث العلمي بين النظرية والتطبيق. دار المسيرة، عمّان، 2021.
- حسين أحمد أمين. العقل العلمي وتحديات التفكير المعاصر، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019.
- حسين عبد الله. مناهج البحث العلمي: المفاهيم والتطبيقات. دار اليازوري، عمّان، 2020.
- الحسيني علي. تدريب المعلمين على استخدام التكنولوجيا في التعليم العالي. مجلة البحوث التربوية العربية، 2021.
- حمدان رامي عبد القادر. أسس التفكير العلمي ومنهجية البحث الأكاديمي. دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019.
- حمدان محمد. المنهج التاريخي وأهميته في البحث العلمي. دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2020.
- حمودة فاطمة. تطبيقات المنهج العلمي في البحث الميداني. دار اليازوري، عمّان، 2020.
- حميدة ناصر عبد الله. أسس ومناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2019.
- خلف الله أحمد محمد. فلسفة مناهج البحث العلمي وتطورها. دار الرشاد، الجزائر، 2022.
- الخوالدة أحمد. مدخل إلى مناهج البحث الكمي والكيفي والمختلط، دار اليازوري العلمية، عمّان، 2021.
- الخوالدة أحمد. مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والتربوية، دار اليازوري العلمية، عمّان، 2020.

- ديليب ك. تشاكرافارتي، الفكر العلمي في الهند القديمة، ترجمة عبد العزيز عبد الحليم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010.
- رزوق سامي. المنهج العلمي في العلوم الإنسانية: رؤية نقدية. دار الأفق، بيروت، 2019.
- رشدي راشد، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، 1997.
- ريمون بودون، العقلانية في العلوم الاجتماعية، ترجمة عبد الله العروي، دار الساقي، بيروت، 2018.
- الزبيدي عبد العزيز، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، 2020.
- الزعبي محمد عبد الكريم. المنهج العلمي بين النظرية والتطبيق في الدراسات الاجتماعية. دار الحامد، عمّان، 2020.
- زكريا الشربيني. المنهج الوصفي وأدواته في البحث العلمي. القاهرة: دار الزهراء، 2017.
- زكي نجيب محمود، قصة عقل، دراسة في تطور الفكر الإنساني، دار الشروق، القاهرة، 1988.
- روجيه جارودي، وعود الإسلام، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الشروق، القاهرة، 1982.
- جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- زيتون كمال، منهجية البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الصفاء، عمّان، 2022.
- زيدان عبد الله. المنهج العلمي: مفهومه وأبعاده وتطبيقاته، دار الكتاب الجامعي، الإسكندرية، 2018.
- ساطع الحصري، تاريخ الفكر الإنساني في الشرق القديم، دار المعارف، القاهرة، 1992.
- ستيفن هوكنغ، تاريخ موجز للزمن، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2002.
- ستيفن واينبرغ، تاريخ العلم الحديث، ترجمة أحمد مستجير، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- السجاني محمود. المنهج العلمي وتطبيقاته في البحوث الإنسانية. دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
- السرطاوي عبد العزيز، مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، دار الثقافة، عمّان، 2020.
- سعد خالد. مراجعة الأدبيات العلمية: منهجية وأدوات. المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، 2021 .
- شريف عبد القادر. المنهج العلمي وأسس التفكير النقدي. دار الفكر العربي، القاهرة، 2020.
- الشريف محمد. التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على التعلم الجامعي: دراسة تطبيقية. المجلة العربية للتربية والتعليم، 2022.

- الشمر أحمد ناصر. المنهج العلمي ومشكلاته التطبيقية في العلوم الاجتماعية. دار الكتاب الجديد، بيروت، 2023.
- عادل يوسف. البحث العلمي والتنمية في العالم العربي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2022.
- عبد الباسط متولي، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربة نقدية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2022.
- عبد الحليم عويس، العلم في عصر الثورة الرقمية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2020.
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي عند الفلاسفة والعلماء، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ومشكلاته، دار النهضة العربية، القاهرة، 2021.
- عبد الرحمن بدوي، منطق أرسطو والاتجاه التجريبي عند بيكون وغاليليو، دار النهضة، بيروت، 1995.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ج1.
- عبد الرحمن طه. تجديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2018.
- عبد السلام حيدر، إشكاليات البحث الاجتماعي بين الصدق والمنهج، دار الحوار، اللاذقية، 2022.
- عبد السلام عبد الله. النظرية والمنهج في البحث العلمي. دار الأفق، بيروت، 2021.
- عبد العزيز السرطاوي، مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، دار الثقافة، عمّان، 2020.
- عبد العزيز السيد نوار، مناهج البحث في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2021.
- عبد الغني بسيوني. تحليل المضمون في البحوث الإعلامية. القاهرة: دار المعارف، 2017.
- عبد الفتاح تركي، مدخل إلى فلسفة العلم، المفاهيم والمناهج وتطور الفكر العلمي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2021.
- عبد الكريم غلاب. مناهج البحث الاجتماعي بين الكمي والكيفي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012 .
- عبد الكريم غلاب، مدخل إلى مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2020

- عبد الله إبراهيم، مناهج البحث في العلوم الإنسانية: إشكالات المفهوم والتطبيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2022.
- عبد الله أحمد. منهجية البحث العلمي: الأسس والإجراءات. دار الفكر العربي2020.
- عبد الله الغامدي. المنهج الكمي والكيفي في البحث العلمي. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2020.
- عبد الله عبد الدايم، العلم والمجتمع في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982.
- عبد الله عبد الرحيم الخضر، فلسفة العلوم الاجتماعية: من الوضعية إلى ما بعد الحداثة، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2021.
- عبد الهادي فؤاد محمد. مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات، دار المسيرة، عمّان، 2021.
- عبيدات ذوقان وآخرون، البحث العلمي: المفاهيم والأساليب والتطبيقات، دار الفكر، عمّان، 2021.
- عبيدات ذوقان، عبد الرحمن عدس، وكايد عبد الحق، البحث العلمي: المفاهيم والأساليب والتطبيقات، دار الفكر، عمّان، 2021.
- العتيبي فهد .منهجية البحث العلمي: تصميم الدراسة وأدواتها. الرياض: جامعة الملك سعود، 2019.
- العساف صالح. مناهج البحث العلمي في العلوم السلوكية، دار الزهراء للنشر، الرياض، ط. 5، 2020.
- العيسوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي وأدواته في العلوم النفسية والاجتماعية، دار غريب، القاهرة، 2019.
- الغامدي عبد الله. طرق جمع البيانات وتحليلها في البحوث الاجتماعية. القاهرة: المركز العربي للنشر، 2022.
- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949.
- فاطمة الزهراء بن ناصر، الذات والموضوع في العلوم الاجتماعية: قراءة إبستمولوجية، دار ابن النديم، الجزائر، 2023.
- فاطمة الزهراء بن ناصر، الصدق المنهجي في العلوم الاجتماعية: نحو رؤية إبستمولوجية جديدة، دار ابن النديم، الجزائر، 2024.
- فتحي أحمد، المدخل إلى مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2022.
- كار إدوارد هاليت. ما هو التاريخ؟ ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: دار المعارف، 1993.

- كاظم المقدادي، مناهج البحث العلمي: الأسس النظرية والتطبيقات العملية، دار صفاء، عمّان، 2015.
- كمال أبو ديب. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. عمان: دار الحامد للنشر، 2021.
- كمال عبد الرحمن، البحث التطبيقي في العلوم الاجتماعية، الأسس والمنهجيات، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2021.
- كولن لوكاس. المنهج التاريخي في الدراسات الاجتماعية. ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012.
- لزهيري أحمد. أساسيات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. عمان: دار الفكر العربي، 2020.
- مارك بلوخ. دفاع عن التاريخ أو مهنة المؤرخ. ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2007.
- محمد الجوهري. مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية. القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 2018.
- محمد الجوهري، مناهج البحث الاجتماعي: أسس النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، 2020.
- محمد الدريج، البحث العلمي بين المناهج الكمية والكيفية: قراءة نقدية، دار عالم الكتب الحديث، عمّان، 2021.
- محمد الطالبي، البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية: مقاربة منهجية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2011.
- محمد العمري، مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، 2018.
- محمد المبارك، أصول البحث العلمي ومناهجه، دار الفكر، دمشق، 2006.
- محمد بوزيان، فلسفة مناهج البحث في العلوم الاجتماعية: مقاربة نقدية، دار الإعصار العلمي، عمّان، 2019.
- محمد سامي. تحليل الدراسات السابقة في البحث العلمي: منهج وتطبيق. دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2019.
- محمد شوقي الزين، الفكر العلمي في العالم المعاصر: من الموضوعية إلى الانعكاسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2021.
- محمد شوقي الزين، فلسفة العلم والمنهجية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2020.
- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.

- محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2019.
- محمد عبيدات، البحث العلمي: المفاهيم والمنهجيات، دار وائل للنشر، عمّان، 2019.
- محمد عثمان الخشت، نحو تجديد التفكير العلمي في العصر الرقمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2022.
- محمد فالح الصغير، أخلاقيات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2022.
- محمد وقيدي، العلم والوعي العلمي، دار الطليعة، بيروت، 2019.
- منصور فاطمة. البحث العلمي والتنمية الاجتماعية في العالم العربي، دار الهدى، الجزائر، 2021.
- الموسوي عبد الرزاق. الفكر المنهجي في العلوم الحديثة. دار الرافدين، بيروت، 2021.
- ناصر أحمد. واقع وتحديات البحث العلمي في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث، بيروت، 2020.
- الهاشمي محمد عبده. مناهج البحث العلمي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، 2015.
- هشام جعيط، الهوية والثقافة، دراسات في الوعي الجمعي العربي، دار الطليعة، بيروت، 2021 .
- يوسف عبد السلام. التنمية البشرية والمعرفة العلمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2022.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Anthony Giddens, New Rules of Sociological Method, Polity Press, Cambridge, 2018.
- Chris Anderson, "The End of Theory: The Data Deluge Makes the Scientific Method Obsolete," Wired Magazine, Vol. 16, No. 7, 2008.
- David Lazer et al., "Computational Social Science," Science, Vol. 323, No. 5915, 2009.
- Deborah Lupton, Digital Sociology, Routledge, London, 2015.
- Drucker, The Age of Discontinuity: Guidelines to Our Changing Society, Harper & Row, New York, 1969.
- Fei-Fei Li & John Etchemendy, The AI Index Report 2023, Stanford University, 2023.
- Francis Bacon, Novum Organum, Oxford University Press, 2000.

- Fred N. Kerlinger, Foundations of Behavioral Research, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1986.
- Gaston Bachelard, La formation de l’esprit scientifique, Vrin, Paris, 2017.
- John W. Creswell, Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, 5th ed., SAGE Publications, 2018.
- Karl Popper, Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge, Routledge Classics, London, 2020.
- Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery, Routledge, London, 2002 .
- Luciano Floridi, The Logic of Information: A Theory of Philosophy as Conceptual Design, Oxford University Press, 2019.
- Polanyi, Michael. Personal Knowledge: Towards a Post-Critical Philosophy, University of Chicago Press, 2015.
- Robert K. Merton, The Sociology of Science: Theoretical and Empirical Investigations, University of Chicago Press, 2019.
- Thomas S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, 4th ed., University of Chicago Press, 2012.
- Transform How We Live, Work, and Think, Eamon Dolan/Houghton Mifflin Harcourt, 2013.
- Ziman, John. Real Science: What It Is, and What It Means, Cambridge University Press, 2021.